LINGUISTIC ISSUES

ISSN Online: 2773-2886 | ISSN Print: 2773-2894

A biannual peer reviewed academic non-profit and open access journal on Various Language and Linguistic Issues

Article title: Worldview Acts in the Elegiac Poetry of Al-Mutanabbī and Al-Maʿarrī

Author(s): Sarah Ahmed Hussein Saad *

Source: Linguistic Issues Journal(LIJ) | مجلة قضايا لغوية, Vol. 7, No. 1, (June 2026), PP73-106

Publisher: Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL) - Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

Url: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/article/view/175

How to cite(APA): Ahmed Hussein Saad, S. (2026). Worldview Acts in the Elegiac Poetry of Al-Mutanabbī and Al-Maʿarrī. مجلة قضايا لغوية | Linguistic Issues Journal, 7(1), 73–106. https://doi.org/10.61850/lij.v7i1.175

Usage Agreement: By using the LIJ journal you are indicating your acceptance of the Terms & Conditions of Use, available at: https://qadaya-lugawiyat.dz/index.php/LIJ/Usage_Agreement

Qaḍāyā luġawiyaẗ (Linguistic Issues) is licensed under a **Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License**

This content is **Open Access**

Disclaimer

The opinions expressed in the texts published are the author's own and do not necessarily express the views of the Editorial team of the Journal of **Qaḍāyā luġawiyaẗ** (Linguistic Issues)

The Authors assume all responsibility for the ideas expressed in the materials published

Authors warrant that the rights of third parties will not be violated and that the publisher will not be held legally responsible should there be any claims for compensation

Copyright reserved to the author © 2026

Qadāyaˉ luġˈawiyaẗˈ (Linguistic Issues)

Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language(CSTRDAL)

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria(LRUALIA)

For more information about LIJ, please visit: https://qadaya-lugawiyat.dz or contact us: contact@qadaya-lugawiyat.dz

أفعال رؤية العالم بين المتنبي والمعري في الرثاء

Worldview Acts in the Elegiac Poetry of Al-Mutanabbī and Al-Maʿarrī

د. سارة أحمد حسين سعد *
جامعة ذمار، اليمن

Dr. Sarah Ahmed Hussein Saad
Thamar University, Yemen

تاريخ استلام المقال:2026/03/04	تاريخ القبول: 2026/05/24	تاريخ النشر:2026/06/15

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أفعال رؤية العالم التي تمثلت عند الشاعرين المتنبي والمعري في سياق الرثاء في قصيدة لكل منهما، واعتمدت الدراسة على المنهج التداولي الذي يحتوي إجراء الأفعال الكلامية، وتمثلت رؤية كلا الشاعرين في مقام الرثاء في تجسيد الذوات بأفعال متباينة، اقتضت سير البحث وفقا لملامحها، لتكون تقسيماته على ثلاثة مباحث: أفعال رؤية العالم عند المتنبي، وأفعال رؤية العالم عند المعري، وبين المتنبي والمعري، وتمخضت الدراسة والتحليل عن تباين الرؤية بين المتنبي والمعري، ففي حين يجنح المتنبي إلى تقديس ذاته مخالفا لرؤية المجتمع حوله، وعدم رضاهم عن ذلك، ويصور العالم المثالي في ذاته، ويقصد إلى تجسيد ذلك باتجاه العالم إلى الذات، ليقدس الذات التي تمثل القيم والوجود، فإن المعري ينحى منحا آخر، إذ يتجه من الذات إلى العالم ليجسد الوجود والقيم والمُثل وليس الذوات. وينتج عن ذلك إحداث الأثر في المخاطب من كلاهما بشكل مختلف.

الكلمات المفاتيح: أفعال الكلام؛ رؤية العالم؛ الرثاء؛ الاستراتيجيات التداولية.

Abstract

This study aims to investigate the acts of worldview construction as manifested in the elegiac poetry of Al-Mutanabbī and Al-Maʿarrī, through the analysis of one elegy by each poet. The research adopts a pragmatic approach grounded in speech act theory. In the elegiac context, each poet articulates a distinct worldview through divergent performative configurations of the self, which guided the analytical trajectory of the study. Accordingly, the paper is structured into three sections: worldview acts in Al-Mutanabbī's elegy; worldview

* **المؤلف المرسل:** د. سارة أحمد حسين سعد **البريد الإلكتروني:** sara650168@tu.edu.ye

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

acts in Al-Maʿarrī's elegy; and a comparative analysis between the two poets. the findings reveal a fundamental divergence in their respective worldviews. Al-Mutanabbī tends toward self-consecration, positioning himself in opposition to societal perceptions and their disapproval. He constructs an idealized world centered in the self, directing movement from the world toward the self, thereby sacralizing the self as the embodiment of values and existence. In contrast, Al-Maʿarrī adopts an inverse orientation, moving from the self toward the world in order to represent existence, values, and ideals rather than individual selves. Consequently, each poet produces a distinct pragmatic effect on the addressee.
Keywords: Speech Acts; Worldview; Elegy; Pragmatic Strategies.

1.مقدمة

خُلق الإنسان في هذه الحياة لمدة معينة، وجعله الله خليفة؛ لأجل تعميرها، والموت هو النهاية الحتمية له، ولأن الإنسان كائن اجتماعي فهو مرتبط بغيره على أكثر من صعيد، وبقدر قربه أو بعده من غيره يتأثر به ويحزن لفراقه، ولأن الفراق أمر حتمي، بسبب طبيعة الحياة، فقد لجأ الشعراء إلى البكاء والرثاء على من فارقوهم، وكل منهم في ذلك له رؤيته وطريقته في التعبير عن مشاعره، وقد كان المتنبي والمعري من الشعراء الذين لهم باع في هذا المنحى الحياتي الذي ارتبط بالذوات والعالم ارتباطا وثيقا، ووفقا للظروف الشخصية والبيئية والثقافية والاجتماعية وغيرها من ظروف السياق تشكّلت الحالات القصدية، واختلف تمثيل الأفعال الكلامية في سياقات الرثاء، من هذا المنطلق تم اختيار الشاعرين.

وتمت الدراسة باختيار قصيدة لكل منهما، فكان اختيار قصيدة المتنبي في رثاء جدته، كونها من أبرز القصائد التي مثلته في ذلك السياق، واختيار قصيدة المعري في رثاء رجل حنفي، إذ كانت رؤيته عن الموت والحياة متمثلة فيها بشكل لافت، وتمثل هذه الدراسة أهمية المقارنة بين شاعرين من عصر واحد، والنظر إلى تأثير الاعتقادات والأفكار والرؤى، وطريقة تمثيلها في النصوص.

وهدفت إلى الكشف عن الأفعال الكلامية التي مثلت تلك الرؤى لكليهما، باستعمال المنهج التداولي الذي يتضمن أفعال الكلام التي تعد واحدا من الأدوات الإجرائية فيه، فضلا عن الاستعانة بغيره من المناهج بحسب مقتضيات البحث.

ووفقا لذلك جاء تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، تم في المبحث الأول دراسة أفعال رؤية المتنبي للعالم، وقد تضمن رؤية المتنبي لذاته، وللمجتمع، وللمرثي، ثم رؤيته للموت والحياة، وتضمن المبحث الثاني دراسة أفعال رؤية المعري للعالم، الذي تضمن أيضا رؤيته لذاته، وللمجتمع، والمرثي، ثم رؤيته للموت والحياة، وتضمن المبحث الثالث مقارنة بينهما. ثم تلا ذلك النتائج المستخلصة من البحث، يتبعها قائمة المصادر والمراجع.

2. تمهيد

1.2.الأفعال الكلامية (speech acts)

الإجراء التداولي في حقيقته رد فعل على عقم الوصفية وجمودها، وهو المخلص لعلم اللغة من ثباتها الخانق، فالإجراء التداولي منهجية مرنة من منهجيات القراءات السياقية التي تأخذ في حسبانها عناصر الإيضاح والتوجيه والتقييد والإطلاق والإحكام من داخل النص وخارجه. فهي منهجية استيعابية لا تقف عند رصد الظواهر وتسكينها تصنيفيا في عقم وجمود لا يليق بالنص قبل ألا يليق بالمنهج (بلبع، 2017، ص 27؛ الرشيدي، 2024).

والفعل الكلامي مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية (بلبع، 2017، ص 16؛ الشمري، 2024) التي نشأت في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا على يد الفيلسوف الألماني **جوتلوب فريجة (Gottlob Frege)**، ثم اقتفى أثره الفيلسوف النمساوي **فتنجشتاين (Wittgenstein)**، الذي أسس منهجا جديدا أطلق عليه فلسفة اللغة العادية، ثم تلاه **أوستين (Austin)**، **وسيرل (Searle)** اللذان يمثلان المنهج الوظيفي التداولي الذي ظهرت في أحضانه فكرة البحث في الأفعال الكلامية.

وقد وضع أسس هذه النظرية إلى الفيلسوف الإنجليزي **أوستين** من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد عام 1952- 1954م. إذ بيّن أن اللغة ليست مجرد وصف للوقائع الخارجية، ومعيار صدقها هو مدى تحققها، ويرى أن هذا المبدأ مغالطة وصفية لأنه يرى أن كثيراً من العبارات لا تصف العالم أو تقرر حقيقة، وإنما تنجز أفعالاً وتوقع أعمالاً (سليم، 2009، ص 23؛ بابكر، 2024).

وأفعال الكلام هي الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ (يول، 2010، ص 81). وأننا في حالة تكلمنا ننجز شيئا ما، أمراً يكون أوسع من مجرد التكلم (ديك، 2000، ص 227). ويعد قصد المتكلم هو الفيصل في التعرف على نوع الفعل الكلامي، الذي يحاول المخاطب أن يدركه، ويساعده على ذلك السياقات والظروف المحيطة باللفظ (يول، 2010، ص 82)، وتسمى بالمقام الكلامي أو السياق، ويمكن إدراج ذلك فيما يسمى بالعملية التخاطبية ككل، وهي تتضمن المتكلم والمخاطب والسياق بكل أبعاده.

والفعل المنجز بحسب **أوستين** يتكون من ثلاثة أفعال مرتبطة هي: الفعل التعبيري (**locutionary act**)، وهو فعل اللفظ الأساس، أو الفعل القولي، والفعل الثاني هو الفعل الوظيفي (**illocutionary act**) ويسمى الفعل الإنجازي، وبه ينجز المتكلم ما يقصده من خلال اللفظ التواصلي،

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

أما الثالث فهو الفعل التأثيري (**perlocutionary act**) الذي يكون نتيجة للفعل المنجز، وهو غاية المتكلم ومقصده، وبه يتحقق الفعل وينجح، إذ هو دلالة الفهم والإفهام بين المتكلم والمخاطب (يول، 2010، ص 82-83). ومخطط هذا التقسيم كالآتي (صحراوي،2005، ص 43؛ حسان 2021):

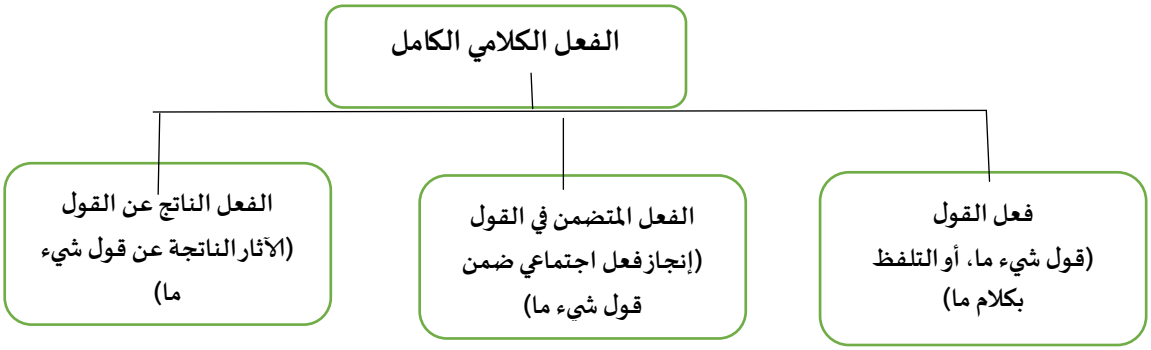

ويصنف أوستين أفعال الكلام من حيث الوظيفة إلى خمسة تصنيفات هي: الإعلانات (**declarations**)، والممثلات (**representatives**)، والمعبرات (**expressives**)، والموجهات (**directives**)، والملزمات (**commmissives**).

ويقسم أفعال الكلام من حيث البنية إلى نوعين: فعل كلام مباشر، وفعل كلام غير مباشر، فكلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة يكون فعل كلام مباشر (**direct speech act**). فعند استعمال البنية الخبرية لتكوين جملة خبرية فعل كلام مباشر، وعندما لا توجد علاقة مباشرة بينهما يكون فعل كلام غير مباشر (**indirect speech act**).

واستطاع أن يبين أن فكرة معنى القول لا تكون في حالة تمثيلية للعالم بمعزل عن تلفظه، ودراسة المعنى يجب أن تبتعد عن التراكيب الجوفاء، وأدخل مفهوماً محوريا في التداولية هو مفهوم العمل اللغوي، في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، وأوضح أن اللغة تستعمل لوظائف كثيرة حسب السياق، ونستعمل الكلام ذاته لتأدية فعل بعينه، إذ يرى أن اللغة في التواصل ليس لها وظيفة وصفية، بل لها وظيفة عملية، فإذ نستعمل فإننا لا نصف العالم بل نحقق أعمالاً هي الأعمال اللغوية (موشلار؛ ريبول، 2010، ص 22).

ويحاول توضيح هذه الأفعال بقوله: «إن إنتاج فعل قولي وفق معنى مختلف ومن ثم فعل إنشائي، معناه إنتاج قول ثالث أيضا، فالتلفظ بشيء يؤدي أحيانا إلى آثار ما على الأحاسيس والأفكار وأفعال المستمعين أو على من يتكلم أو أشخاص آخرين أيضا، بناء على هذا يمكننا القول بأن الشخص

الذي يتكلم أحدث فعلا، إما بأن يحيل على نحو غير مباشر إلى فعل القول أو الإنشائي أو لا يحيل قط، سنسمي هذا الفعل فعلا تأثيريا أو تأثيرا» (أوستين، 2010، ص 89).

ومن بعده قام **سيرل** ـ الذي يعد من أبرز تلاميذ **أوستين** بتطوير نظرية أستاذه، وشمل ذلك التطور بُعدين من أبعادها هما: المقاصد والمواضعات. وتكرست جهوده في نظرية أفعال الكلام من خلال محورين متكاملين الأول خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والآخر مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام (ختام، 2016، ص 90؛ الجهني، 2025). ومن ثم فقد وضع أصول النظرية أوستين وأقام بناءها سيرل، ووسع مجالها غرايس، وهي في مجملها تبنى على أن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة (عبد الرحمن، 1998، ص 260).

وقد أصبح الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، كالرفض والقبول (صحراوي،2005، ص 40). وتؤكد نظرية الفعل الكلامي طبيعة الفعل في اللغة، وتكون الأسئلة المحورية التي يعرض لها منظر الفعل الكلامي في ظواهر لغوية هي:

- ماذا نفعل حين نتكلم؟ وماذا نفعل ونحن نتكلم. وبهذا لا يوجد فيها تناقض بين الفعل والكلام (لانج، 2012، ص 21). فنحن حين نتكلم فإننا نفعل دائما أكثر مما نتكلم فقط، أي نحيي، ونطرح الأسئلة أو نجيب عنها، ونقدم اقتراحات، ونحفز أو نقنع، بيد أن أنه بعد هذه التجربة البينية الأولى، لم تتم بعدها التجربة الفكرية (لانج، 2012، ص 25).

2.2.رؤية العالم

تتباين وجهات النظر حول مفهوم رؤية العالم بحسب التوجهات التي تأتي منها تلك الرؤية، فهي بوصفها مقولة فلسفية ونقدية بالغة الأهمية تمثل تصورا جماعيا يتجاوز الرؤية الفردية، ليضع طبقات المجتمع في صراع درامي أحيانا كثيرة، فهي متناقضة عقليا وشعوريا ومصلحيا. وهي مجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى (بوخالفة، 2018، ص 173).

لقد وظّف الإنسان عقله توظيفاً متعددة ضروبه ونشاطاته لمعرفة الذات الإنسانية وحقائق الوجود عامة، وهكذا تكوّنت لديه قيم ومفاهيم لهذا الكون، سرعان ما ترسخت في ذهنه، وأصبحت شيئاً

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

ضرورياً لحفظ توازنه وبقائه وتجنيبه شرّ الفناء والتلاشي (بوبعيو، 2001، ص 26).

إن كل الأعمال الأدبية تقريبا تمتلك وظيفة نقدية تقويضية إزاء واقع إشكالي، إنها تنشئ كونا ثريا ومتعددا من الشخصيات الفردية والمواقف الخاصة، كونا ينتظمه تماسك هيكلي ما، ورؤية للعالم، بحثا عن قيم أصيلة في عالم منحط (بوخالفة، 2018، ص 173).

وإن أي شاعر في أي زمان أو مكان لا نتصوره حين ينظم شعراً إلا منطلقاً من ذاته، ومن رؤاه الخاصة ليخرج هذا الشعر بعد ذلك إلى العالم الخارجي، أي إلى غيره، وهذا الآخر منفصل عن ذات الشاعر، ولكنه قد ينسجم مع ما تنتجه هذه الذات من رؤى ومشاعر، ومن ثمة فقد يؤثر بشعره في هذا الآخر الذي هو السامع أو المتلقي، لا لأن الشاعر قد ألف شعره خصيصاً لذلك الآخر، على الرغم من ارتباط الشاعر بمفاهيم مجتمعه، ولكن لأن هذا الآخر قد وجد في ذلك الشعر، الذي هو منتوج فردي، صدى مؤثراً في نفسه؛ لأن الشاعر ليس فرداً منعزلاً بل إنه يعيش ضمن مجتمع قبلي يؤثر فيه ويتأثر به (بوبعيو، 2001، ص 19).

فالشاعر غالبا كما المثقف لم يعد تلك الأداة المسخرة، والمنتج لخطاب مكرر ومزيف، بل أصبح قادرا على التقاط المعرفة الموضوعية؛ لأنه يستطيع التحرر من الانتماء الطبقي، والتعالي على المصالح الخاصة بهذه الطبقة أو تلك، فقد أصبح مشحونا بإرادة التغيير، إنه مشبع برؤية ثقافية متبصرة تؤهله لاستشراف مجتمع غير طبقي، تعاش فيه القيم الجمالية والأخلاقية. فهو كائن تقويضي تفكيكي، يهدم عوالم منجزة ليبني أخرى في حالة صيرورة، متحولة باستمرار(بوخالفة، 2018، ص 172).

ومن ثم فالشاعر يتصور العالم وفقا لجملة من القصديات والأفكار التي تعتمل في ذهنه، بقصد تمثيلها للآخر، وذلك التصور قد يتفق مع الرؤية المشتركة بين المتكلم والمخاطب وقد يختلف، وبقصد تمثيل تلك الرؤى ينجز الشاعر أفعال كلام تصورها، فتتجسد رؤية الشاعر للعالم بأفعال قصدية مثّلها بمتوالية من الألفاظ والبنيات والأساليب، ووفقا لها تجلت رؤية الذوات المتجسدة في النص في سياق الرثاء، وأنتجت أفعالا تهدف إلى إحداث أثر في الآخرين، وتغيير قناعاتهم.

3.2.الرثاء

هو من الأغراض التي عرج عليها أغلب الشعراء في العصور المختلفة، وهو من الموضوعات التقليدية التي رافقت الإنسان بحكم طبيعة الحياة والموت، والرثاء في الأدب العربي وفي التراث ثلاثة ألوان هي الندب والتأبين والعزاء، والندب هو بكاء الأهل والأقارب ومن يحبهم وينزلهم منزلة الأهل حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع، وينظم الأشعار يبث فيها لوعة قلبه وحرقته، أما التأبين فهو أقرب إلى

الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ فيه يقوم الشاعر بتشييد أمجاد من يفقده، ويسجل أفضاله إذا كانت له مآثر وبطولات، فيصور خسارة الناس بفقده، ومن ثم يعد التأبين ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعي، والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، إذ يجنح الشاعر إلى التفكير في حقيقة الموت ويتجاوز حادثة الموت الفردية نفسها، وقد يصل به الأمور إلى معان فلسفية عميقة، منها فلسفة الوجود والعدم والخلود (ضيف، 1987، ص 5-6). وفي هذا النوع تباينت رؤية الشعراء والأدباء، وطرق تمثيلها وإنجازها.

4.2.السياق والقصدية

السياق من الأمور المهمة التي ركزت عليها التداولية، إذ يؤكد **فيرث (Firth)** أهمية السياق الذي يتكون من مجموع العناصر المكونة للحدث الكلامي، وتشمل هذه العناصر التكوين الثقافي للمشاركين في هذا الحدث، والظروف الاجتماعية المحيطة به، والأثر الذي يتركه على المشاركين فيه، وبذلك لا يقتصر السياق عنده، على السياقات اللغوية فحسب، بل يشمل أيضا السياق الثقافي، وأقوال المتخاطبين، وغير المتخاطبين، وأفعالهم، وكل الأشياء المتصلة اتصالا وثيقاً بالقولة المستعملة، وتأثير الحدث اللغوي (علي، 2004، ص 31؛ واصل، 2020). ويمثل العالم والوقائع حولنا الخلفية السياقية قبل القصدية التي تؤثر في تكوين الحالات القصدية والذهنية، وتعكس تصورا عن هذه الأمور تتمثل في الذهن بالاعتقادات والمشاعر والرغبات، وفي ضوء تلك الحالات والتمثلات يقوم المتكلم بتمثيلها إلى أفعال كلامية وفقا لقصوده التي أرادها أن تصل إلى مخاطبه الذي تربطه به خلفية معرفية مشتركة يبني عليها المخاطب عند محاولة فهم تلك القصود، وفي الخلفية السياقية أن الشاعرين عاشا في العصر العباسي الذي اتسم بالاضطراب السياسي، والتدخل الخارجي من قبل الأتراك والفرس في شؤون المسلمين وفي تسيير أمور دولتهم، وفي المقابل تداخلت الثقافات، وكان الأمراء يشجعون الشعراء، فحدث تطور في جانب الأدب والشعر، ولأن في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها، ومتفق عليها بينهم فإن هذه المعطيات كانت الخلفية قبل القصدية للمتخاطبين قيب التفكير والتمثيل لرؤاهم وأفكارهم. وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة (صحراوي،2005، ص 30-31). ويرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ضرورية ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، لأن المتكلم يفترض أن المخاطب على علم بالمعلومات اللازمة التي تؤهله لفهم قصده، وهي لا تُضمّن في الخطاب، لكنها معلومة مسبقا من الخلفية المشتركة لأطراف الخطاب التي تتيح نجاح عملية التواصل بينهما. والافتراضات المسبقة تشمل مجمل

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

التقاليد العرفية واللهجية والنظم والقوانين لمجتمع المتكلم، ويستند إليه القصد عند تمثيله (الورافي، 2020، ص 101) بالفعل الكلامي. وبالنظر إلى الخلفية قبل القصدية لكلا الشاعرين يفترض السياق أنهما عاشا في مدة زمنية متقاربة، إذ إن المتنبي توفى عام (354هـ)، والمعري ولد عام (362هـ)، وهما ينتميان إلى العصر الأدبي نفسه، ويُعد المتنبي أستاذا للمعري، والمعري تلميذه؛ لأنه ولد بعد وفاته، وتأثر به، وشرح ديوانه وسماه (معجز أحمد)، وكان إذا قرأ بيت المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صممُ

يقول: أنا الأعمى، ومن ثم فالبيئة الاجتماعية والسياسية لكليهما واحدة، لكن اختلفا في الظروف الشخصية والأسرية، وهذا الاختلاف شكّل فارقا في اعتقاداتهما، ومشاعرهما، ورغباتهما، أي في الحالات القصدية لكليهما، نتج عنها تمثيل تلك الحالات بأفعال كلامية مثلت القصود التي أفرزتها كل العوامل السابقة، إذ إن الأفعال القصدية تتمثل بخطة مرتبة ومنطقية وتتدرج بدءا من الخلفية قبل القصدية، ثم الحالات القصدية، ثم تمثيلها بسلسلة من الأفعال الكلامية الجزئية التي تنجز قوة، أو قوى متعددة مباشرة أو غير مباشرة تفضي إلى فعل قصدي كلي هو ما أراده المتكلم، ففي حالة المتنبي يفترض الواقع الشخصي والسياق أنه عاش يتيما ترعاه جدته التي مثلت كل أهله، لكنها كانت حكيمة وقوية، فقد اهتمت بتعليمه وتهذيبه، وإرشاده إلى طريق العلا والمجد، وكانت تدفعه إلى كل ذلك، وتغرس في نفسه الشجاعة والبأس، هذا الوضع غرس في نفسه حب ذاته، وتعاليه، وتطلعه الدائم إلى المكانة العليا والشرف والسؤدد، في حين أن الافتراض المسبق والسياق الشخصي للمعري أساسه الواقع المأساوي الذي عاشه، من فقده لنظره، ثم فقد أبيه، الأمر الذي جعله يعمم رؤيته لكل الأحداث من حوله، والواقع الاجتماعي حوله الذي يشهد حالة من الترف والبعد عن الدين.

ففي قصيدة المتنبي يفترض السياق فقْد المتنبي لأقرب الناس إليه وهي جدته التي تمثل كل أهله، وهو قبل ذلك الحدث لا يلتفت إلى الموت أو الرثاء بكل مفرداته، فهو مشغول بنفسه، وبكل ما يمكن أن يجعله في قمة الهرم، فكان يعتقد بحكمته وقوته وقدرته، واختلافه عن غيره، وفي ذلك يقول:

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوْجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ

يفترض الخطاب أنه ما زال صغيرا، ويقصد مدح نفسه بالصفات التي يفتخر بها أي عربي، وينجز فعله بالفعل الإخباري للتأكيد والتقرير، وهذه الرؤية والاعتقاد تمثلت بكثير من الأفعال في خطاباته، إذ كانت هي المحور الأول فيها، ومن ذلك قوله:

أَبَدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحَاً وَإِهْوَانَا

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وَهَكَـذَا كُنْتُ فِي أَهْلِـي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيْبٌ حَيْثُمَا كَانَا
مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَا
لَا أَشْرَئِبُّ إِلَى مَـا لَمْ يَفُتْ طَمَعَاً وَلَا أَبِيْتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا
وَلَا أُسَرُّ بِمَـا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِـــهِ وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَيَّ الدَّهْرَ مَلْآنَـــا
لَا يَجْذِبَنَّ رِكَابِـي نَحْـوَهُ أَحَـدٌ مَا دُمْتُ حَيَّاً وَمَا قَلْقَلْنَ كِيرَانَا

كانت هذه هي سياقات أفعاله، وقصوده بالفخر بنفسه ومدحها والتغني بها في كل السياقات، إلى أن حدث أن توفت جدته، تغيرت رؤيته ورغبته وشعوره في تلك اللحظات التي تمثلها الطبيعة البشرية حين تكون في ضعفها، كما سيتضح ذلك لاحقا، لكنها ما لبثت أن تراجعت وعادت إلى سابق عهدها.

وفي قصيدة المعري يفترض المتكلم وجود واقع يطغى عليه الموت والحزن، وفضلاً عن ذلك فهو يعاني من عاهة العمى التي أفقدته الرؤية البصرية للعالم حوله، لكنها منحته رؤية ذهنية تصورية لما حوله تختلف عن غيره، هو يعتقد ويرى أن العالم محاط بالسواد والموت، ويشعر بالتشاؤم والتعب فيه، ويرغب في تركه، ويقصد تحذير الناس منه، فهو ليس مكانا صالحا للراحة والمتعة، بل هو موت مؤجل، يأتي على الجميع، وليس على الناس إلا التطلع إلى هذا المصير، والفرح بقدومه؛ لأنه أفضل من البقاء والحياة. يقول:

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْـ جَبُ إِلَا مِن رَاغِبٍ فِي ازْدِيَـادِ

وينقم على أبيه الذي كان سببا في وجوده، ويرى أنه السبب في تعاسته ومعاناته، وفي ذلك يقول:

هــذا جنـــاة أبـــي عليّ ومـــا جنيت على أحـــــد

يقصد من الفعل الإخباري تحذير المخاطبين من الزواج، ومن التناسل؛ لأنهم يتسببون في معاناة أولادهم، واللافت للنظر أن المعري لم ينقم على أمه كما نقم على أبيه، على الرغم من أنها سبب مباشر في وجوده (عبدالرحمن، 1965، ص 25)، إذ يقول في رثائها (المعري، 1957، ص 39):

مضت وقد اكتهلت فخلت أني رضيع وما بلغت مدى الفطام

يتوجع ويتألم لفقد أمه، بفعل الإخبار التعبيري ليؤكد شعوره بالأسى على فراق أمه؛ لأنه لم يكن يستغني عنها، ولا أحد يستغني عن أمه، لكنه أخص من غيره؛ بسبب إعاقته وعجزه، فهو ينقم على الأب دون الأم؛ لأن الأب من يسعى إلى الزواج، ولولا ذلك لما تحملت الأمهات مسؤولية الأبناء، ولما عانى الأبناء في هذه الحياة. وبهذا القصد كانت خطاباته في رثاء أمه، يقول في موضع آخر (المعري، 1957، ص 45):

ولو أن النخيل شكير جسمي ثناه حمل أنعمك الجســامِ

CC BY NC
E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

كفاني ريها من كل ريّ إلى أن كدت أحسب في النعامِ

ويقول:

العيش ماض فأكرم والديك به والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه أمران بالفضل نالا كل إنسان

أما في سياقات الرثاء الأخرى فهو يمثل رؤيته واعتقاداته عن العالم والحياة والموت وما بعد الموت، فهو يبث فلسفته ورؤيته في كل ذلك، ويمثلها بأفعال مختلفة تنجز قوى متعددة تناسب قصوده التي أرادها أن تصل إلى المخاطبين، وسيتم التعريج عليها في المباحث اللاحقة.

3. أفعال رؤية العالم عند المتنبي

1.3. أفعال رؤية الذات

الذات هي الوحدة المصغرة في الوجود والكون، وهي مع غيرها تمثله، وتجسد معلمه وأبعاده وفقا لاصطلاحات وثقافات يعكسها كل جزء من العالم. وفي ظاهرة الدراسة التي نحن بصددها يتمثل العالم بالمجتمع العربي والثقافة المحيطة به لكل من المتكلم والمخاطب، فالمتكلم يدرك الأبعاد والأفكار والاعتقادات التي تمتلكها الذات في المجتمع العربي آنذاك، إذ إن الذات جزء من كون اجتماعي له ثقافة وسلطة، وتلك السلطة تحتم عليه النظر بمنظورها.

المتنبي يصور العالم المثالي في ذاته، ويقصد إلى تجسيد ذلك باتجاه العالم إلى الذات، ليقدس الذات التي تمثل القيم والوجود، فهو يعتقد بأنه مختلف عن الآخرين مميز عنهم، وقد كانت لديه كفاية لغوية وعلمية تؤهله لذلك، فقد تلقى منذ صغره تعليماً خاصاً مع أولاد أشراف الكوفة من العلويين (شاكر، د.ت، ص 152)، وهذا الأمر منحه ثقافة واسعة، ومعرفة ثاقبة، من خلالها استطاع أن يمتلك أداة قوة أسهمت في تكامل الشخصية المتعالية التي ترى لنفسها الأفضلية، فضلا عن طبيعته الفطرية في التسامي بالنفس، هذا الاعتقاد تجلى في قصود تمثلت في أبيات شعرية ترجمها بأفعال كلامية احتلت مساحة كبيرة من نصوصه، وتمثل ذلك بالتعالي وعدم قبول الآخر نداً له، وقصد آخر تمثل في إيصال هذا القصد إلى المخَاطب (سعد،2024، ص 29-30) ، والتأثير فيه، فمن ذلك قوله في صباه (البرقوقي، 2014، ص 930): **[الطويل]**

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَمَا أَحَدُ مِثْلِي
وَذَرْنِي وَ إِيَّاهُ وَطَرْفِي وَذَابِلِي نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَ انْظُرَنْ فِعْلِي

الفعل التوجيهي هنا يصور رؤية الذات التي تتيح له هذا الاستعمال، وينجز به فعل التعالي والتفاخر، واحتقار الآخر، ونفي المساواة التي هي من فرضيات المجتمع الإسلامي، وتتأكد رؤيته المغايرة لغيره بقوله

(**فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَمَا أَحَدُ مِثْلِي**)، هذا الوصف يتنافى مع الرؤية في الخلفية المشتركة لطرفي الخطاب، إذ هو في العالم لا يشير إلى الصفات البشرية، لكن الانحراف في الاستعمال اللغوي يقصد إلى رؤيته المتعالية ورفض المساواة بغيره، وهو ما يتعارض مع القيم الدينية التي ينتمي إليها هو وغيره التي تحض على المساواة، وأن التفضيل لا يكون إلا بالتقوى، وهو بذلك يجانب الثقافة الدينية الرابطة بين شركاء الخطاب، وكان هذا اعتقاده عن نفسه في كل حالاته، ورؤيته لها في كل المواقف التي مر بها، ويرى أنه لم يصل إلى المكانة التي يستحقها، وفي موقف الرثاء، وموقف الضعف، يتمثل هذا القصد وتلك الرؤية، بفعل رفض الاستسلام، والدفع بها إلى تجاوز هذا الشعور، وفي ذلك يقول:

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمَاً غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلَا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا
وَلَا سَالِكَاً إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ وَلَا وَاجِدَاً إِلَّا لِمَكْرُمَةِ طَعْمَا

يتجلى في موقف الرثاء تراجع في رتبية التعالي والنظر من الأعلى للذات، ولم تقل تلك الدرجة إلا في هذا الموقف، فالمتنبي في هذا النص ينجز فعل رفض الاستسلام ويقنع نفسه، بجعلها مخاطبا في عملية حوارية بينه وبينها ليثبّتها ويقنعها، ويؤكد تمسكه بقوته ويرفض الضعف، لتحتفظ ذاته بالعلو والمكانة التي تليق بها، ثم يمثل ذلك بالحوار التواصلي مع غيره في إطار العملية الحوارية نفسها ليصل إلى القصد نفسه، وقصد آخر هو ألا يدع مجالا لغيره من الشماتة فيه، والنيل منه، يقول:

يَقُولُونَ لِي: مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ؟ وَمَا تَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا

ثم يتمحور الخطاب حول الذات، حول الاعتقاد بقوتها وتفردها، وإنجاز قصد الفخر والمدح والاعتداد بالأفعال الإخبارية التقريرية التي تتضمن أدوات وآليات تسهم في تمثيل القصد، نحو الفعل التوجيهي الاستفهامي الذي أنجز قوة مباشرة هي السؤال، وتجاوزها إلى أخرى غير مباشرة هي الفارق بين ذاته والآخرين، وأنهم أقل من أن يصلوا إلى إدراك مقاصده، وكالتقابل (**الماء والنار**)، والتكرار (**الجمع، أجمع**)، فضلا عن التأشير للذات بضمائر الحضور (**في يدي، أجمع، ولكنني، مستنصر، مرتكب، جاعل، تحيتي، لست، عزمي، إني، نفوسنا، أنا، بي، تعزني، صحبتني**) للتأكيد والتقرير والإقناع.

وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجِدَّ وَالْفَهْمَا
وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا
إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفُ بُعْدِهِ فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وَ إِنّـي لَمِـــنْ قَـــوْمٍ كَأَنَ نُفُوسَنَـــا بِهَـا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْـمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَـا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِـي وَيَـــا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَائِهِـا قُدْمَـــا
فَـلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَـــةٌ لَا تُعِزُّنِـــي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَـةٌ تَقْبَـلُ الْظُلْمَـــا

متوالية من الأفعال الكلامية شكلت منظومة من القيم والأخلاقيات التي كان المتنبي يفاخر بها، ويرى أنه أحق من غيره بأمور لم يستطع الوصول إليها، فقوله (**وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْنَّارِ فِي يَدِي**)، فعل تقريري استلزم قوة إنجازية غير مباشرة، هي الفخر بالشجاعة وقوة التحمل، فضلا عن استحقاق الامتياز، والاستدراك بـ(لكن) الذي تجاوز الاستدراك إلى توضيح منابع الشجاعة، وتهديد الآخر. ثم الانحراف اللغوي في قوله (**فَلَّ عَزْمِي**) الذي جمع آلة الشجاعة الحسية بآلة الشجاعة المعنوية ليقصد استحالة الاستسلام، والتمسك بالحق المشروع لذاته. وتتوالى الأفعال المختلفة لتأكيد الرؤية نفسها، والقصد نفسه في أعلى تراتباته:

وَ إِنّي لَمِـنْ قَـــوْمٍ كَأَنَ نُفُوسَنَـــا بِهَـا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْـمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَـا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِي وَيَـــا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَائِهِـا قُدْمَـــا

2.3. أفعال رؤية المجتمع

يؤثر السياق الاجتماعي في الحالات القصدية للمتكلم، ويعد الخلفية قبل القصدية، التي تسهم في التأثير في تصور اعتقادات أو مشاعر أو رغبات لدي المتكلمين، ويمثل الخلفية المعرفية التي تسهم في فهم الخطابات التي قيلت فيها، ويمكن القول إن «المنجز اللفظي هو نتاج عوامل اجتماعية وفكرية وثقافية لها فاعليتها في تشكيل لغة الاستعمال وتداولها ومن ثم انعكاس آثارها في توليد خطاب متنوع تصنعه تلك السياقات المختلفة المحيطة بالنص وإنتاجه» (السعيدي، 2022، ص 18). ففي تحليل الخطابات، وتأويلها يتم الرجوع إلى الواقع المجتمعي، ولذا سُمي السياق بالمرجعية الواقعية (علي، 2016، ص 40). وفي حالة المتنبي، وخطابه في الرثاء، يتجلى السياق الاجتماعي، وتتمثل أفعاله، لتظهر رؤيته تجاهه، يقول:

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَـةٍ بِحَبِيبِهَـا قَتِيلَـةِ شَـوْقٍ غَيْرَ مُلْحِقِهَا وَصْمَـا

يوظف المتنبي فعلا خبريا يحمل قوة إنجازية غير مباشرة، ويتمثل ظاهرة اجتماعية يتم مراعاتها من قِبل المتكلم وهي أن التي تموت بسبب حبها يلحقها وصمة العار، ليصل قصده إلى المخاطب الذي يشترك معه في الخلفية المعرفية لقوانين المجتمع وعاداته، وفي تمثيل فعله ينفي عن جدته كل ما قد يُشينها، ليقصد فعل تمجيدها وتعظيمها، يقول:

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَـا وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

المحتوى القضوي للفعل الكلامي هو ظاهرة اجتماعية كانت تحدث في أوساط المجتمع، إذ كان الناس يعتقدون بها لأجل موتاهم، والمتنبي هنا يشارك اعتقادات مجتمعه في سياق الرثاء، إذ الفعل هنا يتضمن افتراضا مسبقا هو أنه كان لا يؤمن بهذه الرؤية ولا بتلك المعتقدات؛ ويتأكد هذا القصد بالفعل (أصبح) الذي يفيد التغيير، بعد أن قال (كنت)؛ لأن ثمة ما كان يشغله، وهو طلب المجد والعُلا في مواطن الحرب، والفعل الإخباري ينجز قوة غير مباشرة هي الحزن والأسى لفقد جدته، والحنين إلى لقائها، فقد كانت هي كل أسرته، وهي التي ذكرها في نصوصه، وعلاقته بها تجسد الرابط الأسري المقدس، يقول:

فَوَا أَسَفَـا أَنْ لَا أُكِبُّ مُقَبِّـلَا لِرَأْسِكِ وَالْصَدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَـا

وثمة مظاهر مجتمعية تتمثل في أفعاله، أظهرها موقف الحزن والرثاء، مثلت رؤية المجتمع واعتقاداته، وهي التفاخر بالآباء والأنساب، وإن كانت لا تمثل رؤيته العامة في غير سياق الرثاء، إذ إنه لا يعتقد بهذا ولا يراه، فهو يعتقد أن قيمة المرء هي نفسه وفعله وليس نسبه وآباءه، يقول في هذا النص:

وَلَوْ لَمْ تَكُوْنِي بِنْتَ أَكْرَمَ وَالِـدٍ لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنَكِ لِي أُمَّـا

هو هنا يعرج على رؤية المجتمع بالفخر بالآباء، وينجز هذا الفعل الإخباري قصد تأبين جدته وتعظيمها، والفخر بنفسه، وهذا دأبه في مواضع كثيرة، ففي سياق الضعف والحزن ذاته حاضرة، ورؤية الفخر بالآباء ينافي رؤيته واعتقاداته التي تخالف المجتمع، يمثل ذلك خطابه الآتي (البرقوقي، 2014، ص 386):

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُـدُودِي
وَبِهِمْ فَخْرُكُلّ مَـنْ نَطَقَ الضَّـا دَ وَعَـوْذُ الجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ
إِنْ أَكُنْ مُعْجَبَاً فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَـمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيـدِ
أَنَـا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوَافِي وَسِمَامُ العِدَا وَغَيْظُ الحَسُـودِ
أَنَـا فِي أُمَّـةٍ تَدَارَكَهَـا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِـحٍ فِي ثَمُـودِ

إن طبيعة الإنسان هي طبيعة إنسانية خيرة، وجُبلت على تمجيد القيم السامية، وتفضيل كل ما له علاقة بالمروءة والشهامة، التي هي من أصل العربي، غير أنه يضطر أحياناً للتعامل مع القيمة بوجهها الآخر، استجابة لرغبات ذاتية أو اجتماعية في الإعلان عن وجوده، وعن مكانته، وهيمنته، وهذا ما يولد لديه إمّا استهتاراً بتلك القيم أو خروجاً عن المألوف فيها لبلوغ غاية تبدو له جوهرية. هذه هي رؤية المتنبي لمجتمعه، إذ له رؤية خاصة واعتقاد لا يكون فيه تابعا لغيره أو لمجتمعه إلا ما يريد، وظهر تأثره بمجتمعه في سياق الرثاء، أما في السياقات الأخرى فقد كان اعتقاده ورؤيته هو ما يفعله، ويقصد أن يؤثر في مخاطبه ليعتقد أنه منفرد عن غيره مميز عنهم.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

3.3. أفعال رؤية المرثي

المرثي هو الذي قيل لأجله النص، والفعل الكلي في القصيدة هو رثاء هذا الشخص، وتتفاوت رؤية المتكلم إليه بحسب القرب الوجداني من نفسه، ففي حالة المتنبي، المرثي هي جدته، والخلفية السياقية تذكر أن هذه الشخصية كانت أقرب إنسان إلى المتنبي، ولذا تمثلت أفعاله في هذا النص بشكل يختلف عن رؤيته العامة لكل ما حوله، إذ أنجز المتنبي فعل الرثاء والحزن للمرثية بأفعال جزئية كثيرة تمثلت بعملية حوارية تخاطبية مغلقة بينه وبين محبوبته المرثية، يقول:

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرَ مُلْحِقِهَا وَصْمَا
أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيْفَةً فِي حَيَاتِهَا ... وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا

...

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَنِي ... أُعِدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا
تَعَجَّبُ مِن خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا
وَتَلْثَمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَ أَنْيَابِهَا سُحْمَا
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَدْمَى
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَ إِنَّمَا ... أَشَدُّ مِن الْسُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظَّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا ... وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا
وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ الْنَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ الْصُغْرَى الَّتِي كَانَتِ العُظْمَى
هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِن العِدَى ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيْكِ مِن الحُمَّى
وَمَا انْسَدَّتِ الْدُنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى
فَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أُكِبُّ مُقَبِّلَا ... لِرَأْسِكِ وَالْصَدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا
وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا

الفعل الرئيس هو رثاء جدته، وقد تضمن أفعالا جزئية متوالية قصد بها الحزن والألم والرفض، وفي الخلفية السياقية إنها توفت بعد أن أتاها منه مكتوب بأنه سيأتي لرؤيتها بعد طول غياب، وبسبب شدة فرحها بهذا الخبر لم تحتمل، ولأن مشاعره ثائرة، ورغبته جامحة للقائها، ولن يتم هذا لاستحالته بسبب الموت، تجاوز البكاء ليحدثها حضورا وغيابا، فهي مخاطبته الأولى، ثم نفسه، ثم الآخرين، ليقصد تمثيل اللقاء الذي كان مرتقبا حضوره، ليسلي عن نفسه، ويتخلص من عذاب ضميره الذي جعله يبتعد عنها، وتمثلت قصوده التي

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

ترى في جدته الشخص النموذج في العالم حوله الذي كان يرى فيه النقص، بأفعال إخبارية تقريرية نحو (**أتاها كتابي، تعجب من خطي، طلبت لها، هبيني،** ...) وتعبيرية وصف بها شعوره وشعورها نحو: (**أحن، أهوى، بكيت، ماتت سرورا، مت بها غما، رقا دمعها، فو أسفا** ...)، ومتوالية الأفعال تنجز محاولة التنفيس عن النفس، والبوح بما يعتلج النفس من مشاعر الحزن والألم والضعف، ورفض تقبل البعد.

4.3. أفعال رؤية الموت والحياة

في مواقف الرثاء تتباين رؤية الشعراء حول ظاهرة الموت، وتستند تلك الرؤية إلى عوامل متعددة، منها منزلة المرثي، فضلا عن كفاءة الشاعر العلمية، وغيرها من العوامل التي يتم ترجمتها إلى أفعال تمثل رؤية خاصة بالمتكلم، أو رؤية جمعية يعيد صياغتها، وعند النظر في موضوع الرثاء بشكل عام يتضح أن الظاهرة حاضرة في الشعر العربي والغربي منذ بدايتهما، لكن تمثيل هذه الظاهرة، وتمثيل هذا المحتوى القضوي يختلف من شاعر إلى آخر، والغالب أن الناس عموما، والشعراء خصوصا يمرون بالمرتبة الأولى والثانية من مراتب الرثاء المذكورة سلفا، أما المرتبة الثالثة فلا يصلها إلا من له رؤية تمثله، وتمثل اعتقاداته وفلسفاته، وبها يتفاضل الشعراء، وتتمايز مكانتهم، ووجهات أنظارهم إلى الأشياء من حولهم، والمتنبي نظرته إلى الموت نظرة تحدٍ ولا مبالاة، إذ هو في طريقه إلى المجد والعُلا يُدرك أن الموت يتربص به، أما في سياق رثاء جدته فيتمثل فعل تجلي الرؤية والفلسفة المتعارف عليها عن الموت، فهو الحقيقة الأزلية التي لا يُنكرها أحد، ولكن تتباين الرؤى حولها، يمثل المتنبي هذه الرؤية بقوله:

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدَاً وَلَا ذَمَّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا
إِلَى مِثْلُ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أُبْدِى وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى

القصد الظاهر أن المتنبي يُخبر عن حقيقة يعلمها كل الناس، وهي حقيقة الفناء والموت، والعودة إلى العدم، لكن الفضل يتضمن قصداً ثانيا هو مواساة النفس وتعزيتها ومحاولها تصبيرها على ما ألمّ بها من فاجعة، ويمثل قصوده بتجنب ألفاظ الموت المباشرة والتلميح لذلك بالتأشير الزماني (ما كان)، والتأشير المكاني (مرجع)، يفهمه المخاطب من الخلفية المعرفية المشتركة بينهما، ليقصد التخفيف من وطأة الحدث على نفسه. وفي تسلسل الحدث الكلامي الكلي كان هذا القول مقدمة وتمهيدا للعملية الحوارية التالية بينه وبين المرثية، وفي هذا السياق تضمنت الرؤية فعلا قصديا مضمرا هو الرفض لحدوثه، والجزع منه، وهو تمثيل لحالة المشاعر القصدية التي لم يستطع تجاهلها، وهو في سياقات رثائية أخرى يمثل فعل

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الرؤية، لكنه سرعان ما يتجاوز فعل الضعف والألم، إلى الثورة عليهما ورفض الاستسلام، يقول في موضع آخر(البرقوقي، 2014، ص 163):

إذا استقبلت نفس الكريم مصابها بخبث ثنت فاستدبرته بطيبِ
وللواجـــد المكروب من زفراتـــه سكون عزاء أو سكون لغـوبِ

وفي سياق رثائي آخر تتجلى رؤيته وفلسفته للموت، بفعل قصدي مرفق، يقول (البرقوقي، 2014، ص 162):

وقد فارق النـــاس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كـل طبيبِ
سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها مُنعنا بها من جيئة وذهــوبِ
تملكهـــا الآتي تمـلك سالــب وفارقها الماضي فـراق سليبِ

تتمثل رؤية الموت بالأفعال الإخبارية، وهي رؤية كلاسيكية تطرق إليها من سبقه، يتمثل فيه قصد إثبات هذه الحقيقة التي لا يقتنع بها العقل عند حدوث المصيبة، والقصد تثبيت النفس بتذكيرها بأن هذا مصير من سبق، لكن هذه الرؤية تتغير عندما يتعلق الأمر بالأحبة، يقول في موضع آخر(البرقوقي، 2014، ص 730):

إني لأجبن مـن فـــراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فأشجعُ

ويقول أيضا:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لهـــا المنايا إلى أرواحنـا سُبلا

تتغير رؤية المتنبي للموت بالقرب الوجداني لمن حوله، إذ يتمثل الفعل القصدي لمشاعر الحب والخوف من الموت على أقرب الناس إليه، في حين أن الرؤية تختلف إذا كان هذا الأمر لا يمسهم، وتم تمثيل هذه القصود بالأفعال الإخبارية المؤكدة بأن واللام زيادة في الإثبات والتقرير، والثاني بالشرط.

4. أفعال رؤية العالم عند المعري

يتضمن النص الخطابي للمعري فعلا كلاميا مركبا وكليا هو الرثاء، وهو السياق المقامي الذي قيل لأجله النص، لكن الشاعر ضمنّ نصه أفعال كلام جزئية قام بتمثيلها عبر سلسلة من المراحل، مثلت حالاته القصدية (قصوده ومعتقداته ومشاعره ورغباته)، تمثلت رؤية المتكلم بأفعال جزئية تضمنت بنيات مباشرة وغير مباشرة، وهي كالآتي:

1.4. أفعال رؤية الذات

انبنت أفعال رؤية المعري لنفسه وتم تمثيلها بالأفعال اللغوية وإنجاز قصودها وفقا لخطوات تسلسلت لتمثيل قصود المتكلم، وتجسيد رؤاه، بدءاً بالخلفية المعرفية للعالم السابقة للقصدية التي تم

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

التعريج عليها، إذ هي تصور العالم، وهي تسمى شبكة القصود، وهي لا تنشئ الفعل، لكنها تُسهم في التصور الذهني للحالات القصدية للمتكلم، والحالات القصدية لا تكوّن الفعل لكنها تمثله وتصوره، والفعل هو تمثيل لذلك التمثيل، ففي حالة المعري الخلفية المشتركة ترى أنه كان وحيدا، وكان يرى نفسه بنظرة دونية، وكان يتمنى أنه لم يرَ هذه الحياة، كان يعتقد بعدم أهمية حياته، وبأنه لا شيء، ويشعر بالبؤس والرفض للحياة، ويرغب في ترك الدنيا، والخلاص منها، وتمثيل حالاته تلك كانت بأفعال كثيرة، ومن العوامل التي أسهمت في التأثير في شخصية المعري البيئة والعصر الذي عرف بالاضطراب، وتسلط المحتلين، وتفرق دول المسلمين، ومنها إصابته بالعمى، وفقد والديه. فتكونت لديه سمات خاصة منها: التواضع، والشك في كل الناس؛ لأنه كان يرى أن النفس شريرة بطبعها وأصلها خبيث، والتشاؤم، والإعراض عن الزواج والتناسل، وكان زاهدا في الدنيا غير مبال بملذاتها (السلفي، 2021، ص 35-36). وفي ذلك يقول:

أراني في الثلاثة مـــن سجوني فلا تســـأل عـن الخبر النبيثِ
لفقدي ناظـري ولزوم بيتـــي وكون النفس في الجسد الخبيثِ

إن السياق المقامي يفيد أن المتكلم لا يقصد المعنى المباشر للسجون المتعارف عليها، بل يقصد إخبار المخاطب عن سبب معاناته، ورؤيته التشاؤمية، واعتقاداته لكل ما حوله ويستعمل ملفوظ الرؤية البصرية التي حُرم منها (**أراني**)، وتمثيل ذاته بالفاعل والمفعول به ليقصد الحصار الذي هو فيه دون غيره، بالأشياء التي حجبته عن ذاته وعن العالم، لكن الفعل الإخباري هنا يقصد به تجاوز القصد المباشر للرؤية إلى شعوره بالعجز، وزهده فيما حوله، ومن أفعال رؤيته لذاته:

دُعيْتُ أبـــا العلا وذاك مَيْنٌ ولكـــنّ الصحيحَ أبـو النزولِ

تكشف الفعل عن قصد التقليل من قيمة الذات، وهو كان قليل الاعتداد بنفسه، وكثير الازدراء لها (حسين، د.ت)، وتأكد هذا القصد بملفوظات تسهم في إقناع المخاطب بهذه الرؤية، لاسيما حرف الاستدراك (**لكن**) الذي يفيد نقض ما سبق، فضلا عن النفي بالتأشير الذي يعود على ذاته (**وذاك مين**)، وهو يقصد التواضع، وفي القصيدة يشير إلى فعل رؤيته للكائن البشري، واعتقاده عنه، ورغبته في أن يصل هذا القصد إلى مخاطبه، يقول:

وَالَّذِي حَـارَتِ البَرِيَّـةُ فَيْـــهِ حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَـادِ
وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـ رَّ بِكَـــوْنٍ مَصِيرُهُ لِلفَسَـــادِ

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

يوظف المعري لتمثيل قصده بالفعل الكلامي الإخباري التقريري الذي يتسم بالوصفية وترك الاسمية لينجز قصد الإمعان في التحقير والحط من قدر الجنس البشري بما فيهم نفسه وذاته، فضلاً عن التأكيد على رفض أفعال الإنسان المشار إليها بلفظة "الفساد" الذي يتأتي من هذا الكائن، ويتأكد إنجاز هذا القصد بوصفه بما دونه في الوجود (**حيوان، جماد**)، وثمة قصد مضمر يتضمنه الفعل اللغوي هو أنه توصل إلى حقيقة الإنسان بعد أن عجز غيره ذلك، وهذه الرؤية هي من اعتقاداته التي انفرد بها، التي يريد أن يقتنع بها مخاطبه، وهذا الحالات القصدية والاعتقادات الخاصة هي من بنات أفكاره، وهو ما ابتدأه في مطلع القصيدة بقوله: (**غير مجد في ملتي واعتقادي...**)، وثمة نص مصاحب في موضع آخر يؤكد هذا القصد وتلك الرؤية، وذلك في قوله(المعري، 1957، ص 25):

لَـو عَـــرَفَ الإنســـانُ مِقْدَارَهُ لَـــمْ يَفَخَـرُ المَوْلَى عَلَى عَبْدِه

يعبر هذا الفعل الكلامي المتمثل ببنية الشرط التي تؤكد نفي الشرط وبالتالي انعدام النتيجة، عن رؤية المعري لذاته، وللذات الإنسانية ككل، هو يخاطب الإنسان بعموم اللفظ، ويكشف عن قصده الذي فيه أن قدر الإنسان ضئيل، وينجز فعل الاحتقار والانتقاص، وفيه افتراض مسبق هو تطاول الموالي على العبيد، والفخر بالنفس في ظل تفاوت الطبقات المجتمعية آنذاك.

2.4. أفعال رؤية المجتمع

يفترض السياق الاجتماعي أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، لا ينفك عن هذا، ولا يستطيع العيش في عزله عن الآخرين، وهذه معرفة مشتركة بين أقطاب التخاطب في كل مكان وزمان، ومن ثم يحدث التأثير والتأثر بكل مكونات المجتمع وعاداته وتقاليده، وفي مجتمع المتكلم/المعري الذي يقوم بتمثيل مجتمعه الخاص وفقا لقصديته ورؤيته واعتقاداته التي يؤمن بها، فهو يخالف المتعارف عليه في مجتمعه من قوانين الرثاء والعزاء، يمثل المعري قصوده، ويبنى رؤيته للمجتمع حوله باستعمال البنية المباشرة (الخبرية، التقريرية)، التي يفتتح بها قصيدته، يقول:

غَيْـرُ مُجْـــدٍ فِي مِلّتِي وَاعْتِقَـادِي نَـــوْحُ بَـاكٍ أَوْ تَرَنُّمُ شَـــادِ
وَشَبِيهٌ صَـــوتُ النَّعْـــيّ إِذَا قِيْـ سَ بِصَوتِ البَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ

يفتتح المعري القصيدة بافتراض مسبق مفاده أن لديه ملة وعقيدة تختلف عن الذي يعتقده الآخرون، ويمثل هذا المعتقد بالفعل المباشر، ويقصد أن يفهم المخاطب هذا القصد دون أي مواربة؛ لأنه يرى أن هذا هو المعتقد الحق، فالفعل الإخباري والتقريري المتضمن المقابلات والمتناقضات (**نَوْحُ بَاكٍ، أَوْ تَرَنُّمُ شَادِ**)، (**صَوتُ النَّعْيّ، صَوتِ البَشِيرِ**) يؤكد قصده في ثبات الموقف، وتقرير الرؤية القاتمة في كل

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الأحوال التي جمعها في مقابلاته المذكورة، التي هي كل الحياة، إذ فيها إشارة إلى الثنائي العام (الموت والحياة)، وتقديمه لمتلازمات الموت تؤكد قصد الفعل بالرؤية التشاؤمية التي تتجسد في معظم الأفعال المذكورة كما سيأتي ذكرها. وللقصد نفسه يستعمل بنية غير مباشرة في البيت التالي، يقول:

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَـــةُ أَمْ غَـــ نَّتْ عَلَى فَـرْعِ غُصْنِها المَيَّـــادِ؟

ينجز هذا الفعل غير المباشر قوة تتكون من أكثر من قصد، إذ إن القصد الحرفي المباشر هو سؤال المخاطب عن أمر يجهله المتكلم، فقد استعمل بنية الاستفهام، لكن هذا الفعل له قوة إنجازية مستلزمة هي التي قصدها المتكلم من الفعل وهي تقرير الرؤية القاتمة التشاؤمية للعالم وإثباتها، التي ترى واحديه الرؤية إلى المظاهر في الطبيعة والحياة، وثمة قصد ثالث وهو إقناع المخاطب بتلك الرؤية عن طريق الاستدلال بالمثل المذكور وهو صوت الحمامة، إذ هي في كل حالاتها ستقوم بالصوت نفسه، وفيه فعل مضمر هو عدم الاغترار بالأشياء الظاهرة فهي تُخفي ما لا نراه. ويتجلى أثر عاهة العمى على أفعاله في التمثيل بالملفوظات التي تتعلق بحاسة السمع (**نوح، ترنم، صوت النعي، صوت البشير، بكت، غنت**) في استدلالاته على عدم الرضى بما هو فيه، وعدم المبالاة بالحزن أو الفرح، ثم تفضيل الموت على الحياة، وفي هذا يقول:

ضَجْعَةُ المَـــوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـــ جِسْمُ فِيهَا، وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهادِ

وثمة نص مصاحب يربط فيه بين الموت والنوم، إذ يرى أن الموت هو الراحة، كما يرتاح في النوم، وفي ذلك يقول (المعري، 1957، ص 46):

وبين الموت والنوم قُربي ونسبـــةٌ وشتان برء للنفـــوس وإعـــلال
إذا نمت لاقيت الأحبة بعدمـــا طوتهم شهور في التراب وأحـــوال

تتسلسل الأفعال الجزئية التي تمثل رؤية المعري التشاؤمية للعالم حوله، في هيأة بنيات لغوية مباشرة وغير مباشرة، تتراتب فيها القصود، وهذه الأفعال فيها أكثر من قوة منجزة، إذ تتشكل بهيئة عملية حوارية تتم بين المتكلم ومخاطب حقيقي أو مفترض، يوجه فيها المتكلم خطابه بأفعال ذات طابع توجيهي مباشر، لكنها تتضمن قصودا غير مباشرة، يقول:

أَبَنَاتِ الهَدِيلِ أَسْعِـدْنَ أَوْعِـدْ نَ قليلَ العَـــزَاءِ بِالإِسْعَـــادِ
إِيْـــهِ! للهِ دَرُّكُـــنَّ فَأَنتُـنَّ الـــ لمَوَاتي تُحْسِـنَّ حِفْظَ الـــوِدَادِ
مَا نَسِتُنَّ هَالِكَـاً فِي الأَوَانِ الـ خالِ، أَودَى من قَبلِ هُلكِ إِيَـادِ
بَيْدَ أَنِّي لَا أَرتَضِي مَـــا فَعَلْتُ ـنَّ وَأَطْوَ اقُكُـنَّ فِي الأَجْيَـــادِ
فَتَسْلَبْنَّ واستِعِرْنَ جَمِيعَـــاً مِن قَمِيصِ الدُّجَى، ثِيابَ حِـدادِ

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

ثُمَّ غَـرِّدْنَ فِـي المَآتـمِ وَانْدُبْـ نَ بِشَجـوٍ مَـعَ الغَوَانِي الحِـرادِ

يتمثل المحتوى القضوي لخطاب المتنبي في ظاهرة اجتماعية تحدث في سياقات الرثاء، وهي النواح والبكاء والحداد على الميت لاسيما من قبل النساء اللاتي يُظهرن هذا الفعل بحكم عاطفتهن وضعفهن، لكن المعري يمثل هذا الفعل بإسقاطه على بنات الهديل (**الحمائم**) في عملية حوارية تخاطبية بينه وبينهن، لينجز فعل الحزن والتألم والفقد، باستعمال الأفعال التوجيهية الأمرية (**أسعدن، عِدن، تسلبن، استعرن، غردن، اندبن**) التي تجاوزت قوتها الإنجازية المباشرة إلى قوة مستلزمة؛ لأن المتكلم لا يملك التوجيه للمخاطب، وليس له قدرة على التأثير فيه، فهي حوارية من طرف المتكلم، وفيه قول مضمر يتمثل في أن كل ما في الطبيعة يعيش الحزن ويفضل الموت، ولا يغرد للحياة، وتتضح رؤيته التشاؤمية في استحضار الأسطورة التي تقول إن الحمائم لا يزلن يبكين الهديل، وهو فرخ كان على أيام نوح فصاده أحد جوارح الطير(المعري، 1957، ص 8)، وذلك في قوله:

مَا نَسِتُنَّ هَالِكَـاً فِـي الأَوَانِ الـ ـخالِ، أَودَى من قَبلِ هُلكِ إِيَـادِ

ويتمثل فعل رؤيته لمظاهر تجهيز الميت بحسب العُرف الاجتماعي والديني، لكنه يتجاوز ذلك برؤية مختلفة، يقول:

وَدِّعَـا أَيُهَا الحَفِيّـانِ ذَاكَ الـ ـشَّخْصَ إِنَّ الوَدَاعَ أَيْسَـرُزَادِ
وَاغْسِلاهُ بِالدَّمعِ إِنْ كَـانَ طُهْراً وَادْفِنَاهُ بَينَ الحَشَى وَالفُـؤَادِ
وَاحْبُواهُ الأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ المُصْـ ـحَفِ كِبْراً عَـنْ أَنْفُسِ الأَبْرادِ
وَ اتْلُـوهُ النَّعْشَ بِالقِرَاءَةِ وَالتَّسْـ ـبِيحِ لَا بِالنَّحِيبِ وَالتَّعْـدَادِ

يتمثل الفعل القصدي الكلي في شدة الحزن والأسى، ويتمثل هذا بمتوالية الأفعال الجزئية التي تنوعت بين التوجيهية الأمرية (**ودعا، واغسلاه، وادفناه، واحبواه، و اتلوه**)، والنداء (أيها)، والقصد تقرير الحزن وتبريره، وقد احتوت الأفعال الإجراءات العملية التي يقوم بها المجتمع للميت، لكن المعري يتجاوز الحسيات إلى المعنويات، وينجز ذلك بالإسنادات غير المألوفة للمخاطب، فالغسل بالدمع لا بالماء، والدفن بين الحشى والفؤاد لا في الثرى، والأكفان من ورق المصحف لا القماش، والاتباع بالدعاء لا بالبكاء. ومن ثمّ فهو يشارك في الحزن، ويوجه إلى ما يفيد المرثي وينفعه بعد موته، وتمثل هذا بقوله (**لا بالنحيب والتعداد**) وقد ورد في السنة أن الميت يُعذب بهذا إذا قام به الأهل.

3.4. أفعال رؤيته للمرثي

تداولية أفعال الكلام تنظر إلى الكلام بوصفه فعلا لغويا، يدل عليه قصد المتكلم، والرثاء في النص هو الفعل الكلامي الكلي، إذ المقام الخارجي يدل أن المعري قال القصيدة في رثاء رجل حنفي، لكن القصيدة

تضمنت متوالية من الأحداث الكلامية أفضت إلى رؤية الشاعر لكل ما حوله، التي تجسدت بفعل تمثلاته الذهنية وحالات القصدية، وقد تشكل متوالية الأفعال الكلامية كالآتي: البيت الأول مثّل الفعل التمهيدي والتأطير العام لكل اعتقاداته، ثم تتالت الأفعال الجزئية لتفصيل كل رؤية على حده، وفي تلك المتتاليات تجلت رؤية المعري حول المرثي، وكيف يتصور ذلك في ذهنه وعقله، ووظف لذلك بنيات لغوية أنجز بها أفعالا كلامية مثلت حالاته القصدية، يقول في ذلك:

قَصَدَ الدَّهْرُ، مِن أَبِي حَمْزَةَ الأوّ ... ابِ مَوْلَى حِجى وخِدنَ اقْتِصَادِ
وَفَقِيهــاً أَفْكَــارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ ... ـمانِ مَا لَـمْ يَشِدْهُ شِعْرُزِيَـادِ
فَالعِرَ اقيُّ بَعْــدَهُ لِلحِجَــاز ... يِّ قَلِيلُ الخِلافِ سَهْلُ القِيَادِ
وَخَطِيباً لَــوْ قَــامَ بَيْنَ وُحُوشٍ ... عَلَّمَ الضَارِيــاتِ بِرَّالنِّقَــادِ
رَاوِيــاً لِلحَدِيثِ لَـمْ يُحْوِجِ المَعْـ ... ـرُوفَ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى الأسْنَـادِ
أَنْفَـقَ العُمْـرَنَاسِكاً يَطْلُبُ العِلْـ ... ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَ انْتِقَـادِ
مُستَقِي الكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ ... بِغُــرُوبِ اليَرَاعِ مَــاءَ مِــدَادِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلمُسُ الذَّهَبَ الأَحْـ ... ـمَرَزُهْـداً فِي العَسْجَدِ المُسْتَفَادِ
وَدِّعَــا أَيُّهَا الحَفِيّــانِ ذَاكَ الـ ... ـشَّخْـصَ إِنَّ الــوَدَاعَ أَيْسَــرُزَادِ

يجاري المعري سنن من سبقه في تعزية المرثي وفقا للمعرفة المشتركة بينه وبين المخاطب التي تقتضي ذكر مآثر المرثي، وتمثل هذا المحتوى القضوي بالأفعال الإخبارية التقريرية المباشرة التي تنجز القصد المباشر، وهو الإشادة بما قدم في حياته من صفات نبيلة وسامية، وهي التي كان يفخر بها الناس في ذلك العصر، والملفوظات التي أنجز بها أفعاله هي ما كان يعتقد بأهميتها، وهي (**فقيها، خطيبا، راويا للحديث، ناسكا**)، كان القصد من استعمالها الدعوة إليها والحث عليها، وترك ما دون ذلك، إذ هو كان رافضا للتوسع على النفس في الحياة، زاهدا في كل ملذاتها، وكان قصده الرئيس تعزية المرثي، وإلا فإن اعتقاده أن الموت نجاة من تعب الحياة، وقد تمثل هذا القصد بنصوص مصاحبة تؤكده، يقول:

تَعَبٌ كُلُّهَــا الحَيَاةُ فَمَــا أَعْـ ... ـجَبُ إِلَا مِــن رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ

يتجلى فيه التشاؤم من الحياة، ورفضها، وعدم الرضى بما فيها، وتفضيل الموت بقوله:

ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْــدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ ... ـجِسْمُ فِيهَا، وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ

غير أن هذا القصد لا يعتقده المخاطب، والمتكلم يدرك ذلك من خلال الخلفية المشتركة بينهما، التي تقتضي حرص الإنسان على الحياة، وهروبه من الموت بكل الوسائل، ففي الملة والدين المشتركان بينهما تتجلى هذه

CC BY NC
E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الرؤية، يقول تعالى في كتابه العزيز: **{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}** الجمعة: 8، والمتكلم يدرك ذلك ويؤكده بالنص المرافق في قوله (المعري، 1957، ص 15):

وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله وكلّف نوحاً و ابنه عمل السفن
ومـــا استعذبته روح موسى وآدم وقد وُعدا، من بعده، جنتي عدن

فالمتكلم يدرك أن هذا الفعل التأثيري سيكون ضعيفا على المخاطب، ولذلك لجأ إلى الاستدلال بالطبيعة حوله ليقنعه، لكنه يدرك بُعد التأثير حتى على نفسه، لأنها الطبيعة البشرية التي يحتقرها.

4.4. أفعال رؤية الموت والحياة

الموت هو المحتوى القضوي الرئيس الذي يقابل الحياة، والرثاء نتيجة لهذا الحدث، وأفعال هذه الرؤية تمثلت وفقا لتسلسل مخطط من المتكلم، إذ يبدأ بالسياق قبل القصدي الذي تم ذكره سابقا، من أن المعري مرّ بتجربة خاصة، هي فقد عينيه وهو في الرابعة من عمره، الذي أعوزه إلى الحاجة الدائمة إلى غيره، مما أورثه اعتقادا بالرفض لواقعه، وشعوره بالظلم والنقص، ورغبته في إنهاء هذه المعاناة، إلى تمثيل ذلك بأفعال لغوية أنجزت أفعالا كلامية ذات قوات متفاوتة من القوة والضعف، والمباشرة وغير المباشرة، وكان فيها فعل قصد كلي يتمثل في رؤية الجانب المظلم السوداوي التشاؤمي، الذي يدعو إلى تفضيل الموت، والزهد في الحياة وملذاتها؛ لأنها مليئة بالمتاعب والمهالك. ومن أفعاله الكلامية التي لا ترى إلا الموت، قوله:

صَـاحِ! هَذِي قُبُورُنَـا تَمْلَأُ الرُّحْـ ـبَ فَأَينَ القُبُورُمِن عَهْدِ عـادِ؟

الفعل التوجيهي (**صاح**) المتمثل في النداء بالنكرة غير المقصودة المحذوف منه الأداة، الذي يتضمن حذف الحياة من الجميع، ويقصد به التحذير، فضلا عن التأشير بالقريب (**هذي**) ليقصد قرب الموت، فضلا عن إرادته، وإضافة الضمير الجمعي (**نا**)، للتعميم، لكن المعري ينحرف بالمعادل الطبيعي للمكان إلى معادل يخالف الوضع والعالم في ثقافته المعروفة، لينجز قوة مستلزمة وفعل متضمن هو الرؤية التشاؤمية للحياة، والتحذير من الشرور التي تمتلئ بها، وإلى هذا القصد وتأكيده جاء استعمال الفعل التوجيهي الاستفهامي (**فَأَينَ القُبُورُ مِن عَهْدِ عادِ؟**)، متوالية الأفعال الجزئية المذكورة تضمنت فعلا كليا هو حتمية الموت والزهد عن الحياة. ومن ثّم يوجه المخاطب إلى التعامل مع الحياة برؤيته تلك، يقول:

صَاحِ! هَذِي قُبُورُنَـا تَمْـلَأُ الرُّحْـ بَ فَأَينَ القُبُورُمِن عَهْدِ عادِ؟
خَفّفِ الـوَطْءَ! مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الـ أَرضِ إلا مِن هَـذِه الأَجسَـادِ
وَقَبِيحٌ بِنَـا، وَإِنْ قَـدُمَ الـعَهْـ ـدُ، هَوَانُ الآبَاءِ والأَجْـدادِ

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

سِرْ، إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الهَوَاء رُوَيداً لَا اخْتِيالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَـادِ
رُبَّ لَحْـدٍ قَـدْ صَارَلَحْـداً مِـرَاراً ضَاحِكٍ مِن تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ
وَدَفِيـنٍ عَلَـى بَقَايَـا دَفِيـنٍ فِي طَوِيـلِ الأَزْمَـانِ والآبَـادِ
فَاسْأَلِ الفَرْقَدَيـنِ عَمَّنْ أَحَسّـا مِن قَبِيلٍ، وَ آنَسَا مِـن بِـلادِ
كَـمْ أَقَامَـا عَلَـى زَوَالِ نَهَـارٍ وَ أَنَـارَا لِمُدْلَـجٍ فِـي سَـوَادِ

تتمثل أفعال رؤية المعري بسلسلة من ببنيات لغوية تتمثل بعملية حوارية تخاطبية بين المعري ومخاطبه الحقيقي أو المفترض لينجز سلسلة من الأفعال الجزئية التي تفضي إلى فعل قصد كلي هو العظة والعبرة والالتفات إلى تفاهة الحياة واحتقارها، وتنوعت الأفعال بين التوجيهية والإخبارية وغيرها، وأنجزت قوى مباشرة وغير مباشرة، وتشكلت متوالية الأفعال الكلامية كالآتي: الأفعال التوجيهية (**صاح، أين القبور؟، خفف الوطء، سر، فاسأل**)، التي تجاوزت البنية المباشرة إلى قصد غير مباشر هو حقارة الحياة وسوادها، والتحذير منها، ومن الأفعال الإخبارية التقريرية (**رب لحد قد صار...، ودفين على بقايا...، كم أقاما على...**)، ليقصد إثبات اعتقاده في لفت الناس إلى الجانب الحقيقي للحياة وتقريره، ويقصد إقناعه بهذا بواسطة الالتفات إلى ما يجري حوله، أي بالنظر والتأمل ليحدث الأثر في مخاطبه. ثم يصرح له بقصده بعد أن جعله يستدل بالمعطيات الحسية من حوله بقوله:

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَـا أَعْـ جَبُ إِلَا مِن رَاغِبٍ فِي ازْدِيَـادِ

هو يرى أن الحياة توالي ولادة وموت، وأنها الطريق المؤدي إلى الموت، ويرى أنها علة الشقاء وسر الهلاك ولذلك على الناس أن يرفضوها، وكان يستخف بها ويفضل الموت عليها (زعيميان، 2003، ص 206-207)، يقول:

مـوتٌ يسيرٌ معـه رحمـة خيرٌ من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيش أطواره فما وجدنا فيه غير الشقـاء

يقيم موازنة ومفاضلة بين الموت والحياة وكعادته يقدم الموت ويفضله، ويستعمل التركيب الاسمي بالفعل التقريري ليثبت ويؤكد عدم الرضى بالحياة، لعدم وجود الراحة فيها، والهروب إلى الموت الذي سيجد فيه الراحة، وتأكد هذا بقوله في موضع آخر:

ضَجْعَةُ المَـوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ جِسْمُ فِيهَـا، وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهادِ

5. بين المتنبي والمعري

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

عند النظر إلى القصيدتين المختارتين، يلاحظ ملامح رؤية كلا الشاعرين، وأفعالهما حول كل منهما، فحين يبتدئ المتنبي قصيدته بالعزاء والفلسفة التي ترى أن الحياة لا تمنح الإنسان ما يريد، فعل يتضح فيه الانهزام الكامل، وعدم المبالاة بمجريات الأحداث، ويتمثل الفعل الكلي بمحاولة تثبيت النفس، وتصبيرها، وتتمثل هذه الرؤية بالإشارة إلى ذاته المتكلمة، المسبوقة بأداة التحضيض التي تحث على ذلك، يقول المتنبي في مطلع القصيدة:

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدَاً وَلَا ذَمَّا فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا
إِلَى مِثْلُ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أُبْدِى وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى

يشير إلى فعل الرؤية العقلية الفلسفية بالفعل (**أرى**) المسبوق بالنفي، ليقصد أن هذه قناعته، وهذا اعتقاده، الذي تأتى من خلال الحدث الفاجع الذي أصابه، وهو موت جدته، وكأنه يمهد لنفسه، ويعزيها ليمنحها الصبر والتجلد؛ لأن الموقف كان أصعب من أن يتحمله، وقد كانت أفعاله قبل هذا حول نفسه ورؤية كل شيء دونه، وقوته واعتداده بها، فكان الموقف أكبر من توقعه، ولذلك اختلف مطلع القصيدة، وتغير الفعل، واتضحت الرؤية التشاؤمية، وفعل الاستسلام والحزن، إذ استوى عنده الحلو والمُر، وقصدية الاعتقاد في رؤية المتنبي وقتية، لأنها فقط نتيجة لحدث موت جدته، ولذلك الرؤية للحدث، ولذلك لم يتجاوز هذا الاعتقاد والرؤية البيتين، في حين يأتي المعري بفعل كلي يمثل فعل القصدية (الاعتقاد) والرؤية بشكل أشمل، ورؤية ثابتة، لا تتعلق بحدث، هي في ذهنيته السابقة للفعل، يقول في مطلع قصيدته التي يرثي بها رجلا حنفيا:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلّتِي وَاعْتِقَادِي نَــوْحُ بَــاكٍ أَوْ تَرَنُّمُ شَــادِ
وَشَبِيهٌ صَــوتُ النَّعْيّ إِذَا قِيْ سَ بِصَوتِ البَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ

ينجز المعري فعلا كليا هو الرثاء، لكنه تضمن فعلا قصديا أعمق، هو رويته الفلسفية للموت، إذ تتجلى هذه الروية في خلفيته الذهنية، واعتقاده، قبل إنجازه الفعل، فقوله: (**في ملتي واعتقادي**)، فيها فعل قصدي يتمثل في أن رؤيته ثابتة لا تغيير فيها، كما أن استعمال الملل والاعتقادات وإضافتها بضمير التكلم تؤكد هذا القصد، إذ إنها مقدسة عند الناس، وهذه الفلسفة تتضح بنظرة أكثر تشاؤمية في حالة المعري، على الرغم من أنه يرثي شخصا ليس قريبا من قلبه كما في حالة المتنبي، إذ يستعرض هذه النظرة بشكل واسع ومطول في قصيدته قبل أن يتحول إلى ذكر المرثي.

المتنبي يرثي أقرب الناس إلى قلبه، وهي جدته، التي كانت تقريبا كل أهله، وأكثر إنسان عزيز عليه، وعلى الرغم من ذلك تتمثل فلسفته في بيتين من مطلع القصيدة ثم يتحول إلى ذكر فقيدته، في حين أن المعري يسرد

تفاصيل رؤيته ويبثها في عشرين بيتا تقريبا قبل الحديث عن المرثي، ليقصد نقل تصوره وفلسفته السوداوية إلى الآخرين، وربما يعود ذلك إلى الخلفية السابقة لكليهما، إذ إن المتنبي منذ صغره يشعر بأنه مختلف عن غيره، وأنه متفوق عليهم، وكان يجهر بذلك، وكان لديه تطلعات كبيرة، ونظرة بعيدة للحصول على أعلى المراتب، في حين أن خلفية المعري تختلف تماما، إذ إن إصابته بعاهة العمى وهو صغير أضفت له شعورا سلبيا، جعلته يشعر بالنقمة على الحياة، ويمثلها برؤيته التشاؤمية السوداوية، ربما رأى أنها غير عادلة فيما أصابه، وهذه الرؤية عند المتنبي، لكنه يرى أنها لم تمنحه ما يستحق، فهو فوق الآخرين وأفضل منهم، وهم يأخذون ما لا يستحقون. الخلفية الذاتية والاجتماعية في نفس كل منهما، ولكل رؤيته واعتقاده.

المتنبي يمثل رؤيته للعالم من خلال الموقف الذي مر به وهو موت جدته، ولذلك كان مقتضبا، في حين أن المعري يمثل فلسفة تغلغلت في نفسه، وتشربها في مجريات حياته الطويلة، ولذلك أشار إلى نفسه بالضمير المتصل (**ملتي/اعتقادي**)، وكأنها ملة جديدة طرحها للعالم، واعتقاد ينبغي أن يتبع.

الاعتقاد والفلسفة أنه لا فرق بين الحياة والموت، لا فرق بين الفرح والحزن، لا فرق بين الغناء والبكاء، كلاهما سيان، وتتمثل هذه الرؤية في قوله:

وَشَبِيهٌ صَــوتُ النَّعْيّ إِذَا قِيْـ سَ بِصَوتِ البَشِيرِ فِي كُلِّ نَــادِ
أَبَكَتْ تِلْكُــمُ الحَمَامَـةُ أَمْ غَـ نَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّــادِ؟

وفي رؤية المتنبي يتمثل فعل الرضى، والتبصر بالحياة، وعدم الاستغراب من الأحداث، وفي ذلك يقول:

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَـا فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَــا
مَنَافِعُهَا مَــــا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَـا تَغَذَّي وَتَرْوَى أَنْ تَجُـوعَ وَأَنْ تَظْمَا

يتمثل إنجاز الفعل التعبيري بالإخبار عن رؤيته للدنيا وخبرته بها، وأن هذا هو المتوقع منها، لكن المعرفة تختلف عن حدوث الفعل، فقوله (**دهتني**)، تشير على قوة وقع الحدث على قلبه، ويتأكد هذا القصد بالتضاد في قوله (**منافعها ما ضر**)، فحتى النفع منها يضر، فكيف بالبقية التي لا تنفع، فضلا عن المقابلة في قوله: (**تَغَذَّي وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا**)، وتتجلى هنا نظرته الفوقية لذاته، وأنه أعرف من أن تعلمه الدنيا وأحداثها (**لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا**).

كان للمتنبي رؤية ثابتة لمعظم الأشياء من حوله، ومنها اعتداده بنفسه، وبشجاعة ممدوحيه، وغيرها، ولكن في حدث وفاة جدته، يحدث أن تتغير نظرة المتنبي في لمحة وتتأرجح نفسه لتعود إلى نظرته السابقة، يقول:

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ الْنَّوَى فَقَدْ صَارَتِ الْصُغْرَى الّتِي كَانَتِ العُظْمَى

المتنبي ينجز فعل الفخر والاعتداد بنفسه، ويظهر ثائرا يرى العالم كله في نفسه، هو ونفسه العالم كله، يتمثل هذا بالتواصل الخطابي في الدائرة المغلقة التي يمثلها هو ونفسه في عملية تحاورية مشتملة على ضمائر الكلام والخطاب والغياب، يقول:

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمَاً غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلَا إِلَا لِخَالِقِهِ حُكْمَا
وَلَا سَالِكَاً إِلَا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ وَلَا وَاجِدَاً إِلَا لِمَكْرُمَةِ طَعْمَا
يَقُولُونَ لِي: مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ؟ وَمَا تَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجِدَّ وَالْفَهْمَا
وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَا فَلَسْتُ الْسَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا
إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفُ بُعْدِهِ فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا
وَ إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَ نُفُوسَنَا بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِي وَيَا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَائِهِا قُدْمَا
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الْظُلْمَا

يحث المتنبي نفسه ويحضها على تجاوز الحدث والعودة إلى ما كانت عليها، وعلى رؤيته الثابتة التي تتمثل في السير والإقدام للوصول إلى المكانة المستحقة. في حين نجد المعري لا يرى ما يحدث في الدنيا يستحق الالتفات، المعري ينظر إلى العالم نظرة دونية، يتمثل فعله بالتحذير من الدنيا، يقول:

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَـ نَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِها المَيَّادِ؟
صَاحِ! هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرُّحْـ بَ فَأَينَ القُبُورُ مِن عَهْدِ عادِ؟
خَفِّفِ الوَطْءَ! مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الـ أَرضِ إلا مِن هَذِه الأَجسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا، وَإِنْ قَدُمَ العَهْـ ـدُ، هَوَانُ الآبَاءِ والأَجدادِ
سِرْ، إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الهَوَاء رُوَيداً لَا اخْتِيالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكٍ مِن تَزَاحُمِ الأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الأَزْمَانِ والآبَادِ
فَاسْأَلِ الفَرْقَدَينِ عَمَّنْ أَحَسّا مِن قَبيلٍ، وَ آنَسَا مِن بِلادِ
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَ أَنَارَا لِمُدْلَجٍ فِي سَوادِ

ينجز المعري أفعاله التي تتمثل في التحذير من الحياة، وأنها كلها تعب، ولا تستحق العناء ولا قيمة للفرح فيها، وتتمثل هذه الأفعال بالأفعال التوجيهية اللافتة للنظر، (**أبكت، صاح، أين القبور، خفف**

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

الوطء، سر، فاسأل)، المعري يحذر غيره، يوجه الآخرين، ليشعروا بما يشعر به من قبح الحياة. ويصرح بهذا في قوله:

تَعَبٌ كُلُّهَــا الحَيَــاةُ فَمَــا أَعْـ جَبُ إِلَا مِــن رَاغِبٍ فِي ازْدِيَــادِ
إِنّ حُزْناً فِي سَاعَةِ المَوتِ أَضعا فُ سُرورٍ فِــي ساعَــةِ المِيــلادِ
خُلِقَ النّاسُ للبقــاءِ فَضَلّتْ أُمَــــةٌ يَحْسَبُونَهُــــمْ لِلنَفَــادِ
إِنَّمَــا يُنْقَلُــونَ مِــن دَارِ أَعْمَــا لٍ إِلــى دَارِ شَقْــــوةٍ أَو رَشَــــادِ
ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ جِسْمُ فِيهَا، وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهادِ

تتجلى رؤية المعري للعالم حوله من خلال اعتقاده سوداوية الحياة، ورغبته في اعتزالها، وعدم الاستزادة منها، ويتمثل هذا القصد بالأفعال الإخبارية التي تتكاثف بالمؤكدات على أن تفضيل الموت على الحياة، **(تعب كلها الحياة)** تتضح الرؤية باستعمال لفظ العموم **(كلها)** وتقديم الضمير عليها ليقصد الشمول على كل شيء فيها، ثم يرى أن يجعل رؤية أقل سوادا وتشاؤما، ويتمثل ذلك بمقارنة بين أوقات الحزن والفرح، فيرى أن سلبيات الحياة أكثر من إيجابياتها، بقوله:

إِنّ حُزْناً فِي سَاعَةِ المَوتِ أَضعا فُ سُرورٍ فِــي ساعَــةِ المِيــلادِ

بالمقابلة والتوازي تتمثل الرؤية التي لا ينفك عن الاعتقاد بها، وتتجلى رغبته في ترك الحياة وتفضيله الموت بتمثيل الفعل الذي فيه يتسخط من الحياة، ويطمئن إلى الموت ويرضى به، يقول:

ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْــدَةٌ يَسْتَرِيحُ الــ جِسْمُ فِيهَا، وَالعَيْشُ مِثْلُ السُّهادِ

مقابلة أخرى بين المتضادين **(الموت والعيش)**، يتجلى فيها تفضيل الموت على العيش، وتأكيد هذا القصد بلفظة **(يستريح)**، التي لم يذكرها إلا في موقف الموت. فضلا عن ألفاظ التشاؤم والسواد التي تستحوذ على النص الشعري، وهي كالآتي: **(نوح باك، ترنم شادي)**، **(صوت النعي، صوت البشير)**، **(أبكت، غنت)**، **(قبورنا، قبور عاد، رفات العباد، لحد، لحدا مرارا، دفين على بقايا دفين، الفرقدين، زوال نهار، مدلج من سواد، تعب كلها الحياة)**، **(حزنا ساعة الموت، سرور ساعة الميلاد)**، **(شقوة، رشاد)**، **(ضجعة الموت، العيش)**.

يبدأ بمقارنة ومقابلة بين النقيضين، الفرح والحزن، التشاؤم والتفاؤل، النور، والظلام، الأمل، واليأس، الحياة والموت، وينتصر فيها للطرف الأول، الجانب المظلم المتشائم، ثم يعود للمقارنة، ليقصد أن يثبت اعتقاده، ليقصد أن يصل المخاطب شعوره، ليثبت له أن هذا هو الاعتقاد الصحيح، ويقنعه بذلك ليؤثر فيه، لأجل أن يهون عليه كل ما يمر به.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

ثم يرثي الفقيه، ويختم القصيدة بفلسفته ورؤيته القاتمة التي هي زاوية واحدة، حجبت الرؤية النورانية للحياة، يقول في ختام النص:

كُلُّ بَيْتٍ لِلهَـدْمِ مَا تَبْتَنِي الوَرْ قَاءُ، وَالسَّيّدُ الرَفِيعُ العِمَـادِ
وَالفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ الـ ـسِّدرِ ضَرْبَ الأَطْنَابِ والأَوتادِ
بَـانَ أَمْرُ الإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّـا سُ فَـدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَـادِ
وَالَّذِي حَـارَتِ البَرِيَّـةُ فَيْـهِ حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَـادِ
وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـ ـرَّ بِكَـوْنٍ مَصِيرُهُ لِلفَسَـادِ

تتأكد رؤية المعري في ختام نصه بأفعاله التقريرية والتعبيرية ويتجلى قصده بها، بعد أن تمثلت قصوده نفسها بالأفعال التوجيهية ليقنع المخاطب ويؤثر فيه، وهذا التمثيل يدفعه إلى استحداث ملة واعتقاد جديدين، وهذا الذي نتج عن اعتقاده وتفكيره السابق، الذي أثرت فيه أحداث الحياة، إذ إن المعري مرّ بتجربة قاسية، هي إصابته بعاهة العمى منذ صغره، فلم يعد يرى العالم ببصره، لكنه رآه ببصيرته التي حجبت عنه الجانب المشرق.

ويستحدث فلسفة تتجلى فيها النظرة الدونية للكائن البشري، إذ هو في مرتبة أقل حتى من الحيوان، ويقصد أن النهاية واحدة، ولذلك فالأصل واحد، يقول:

وَالَّذِي حَـارَتِ البَرِيَّةُ فَيْـهِ حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَـادِ

6.خاتمة

يبدأ المتنبي نصه بفلسفة الاعتقاد بحقيقة الموت وزوال الحياة التي هي معروفة للآخرين ليقصد بذلك التهوين على نفسه في المصاب الأليم الذي تعرض له في لمحة سريعة، في حين يجنح المعري إلى تمثيل أفعال رؤيته للحياة والعالم بعرض مطول يخاطب فيه الآخرين ليقنعهم ويثبت لهم ما يعتقد وما يؤمن به، وهو أن الحياة والموت عنده سيان، ولا يؤثر حزنها ولا فرحها، ويمثل هذا القصد بالمقارنة والمقابلة بين الثنائيات ليخلص إلى طغيان الجانب المظلم الأسود وهو الموت الذي فيه المستراح من شقاء الحياة.

- يندب المتنبي ويتوجع ويتفجع بموت جدته في عرض طويل بأفعال تعبيرية، تمثل أفعال الحزن والتوجع والتحسر والأسى لما حدث، في حين يجنح المعري إلى التأبين للمرثي، وذكر أفضاله ومآثره التي تبقى، وهذا يعكس فلسفته ورؤيته التي تمثلت في أن الموت أفضل من الحياة، وأن المرثي قد انتقل إلى دار الراحة وتخلص من دار الشقاء.

- يختم المتنبي مرثيته بفعل رفض الاستسلام للحزن والثورة على مشاعره التي تجعله ضعيفا، ليمثل قصده بعملية حوارية مغلقة بينه وبين نفسه، باستعمال أفعال توجيهية لقصد إلزام نفسه، وفيها قصد آخر هو إيصال المخاطب أنه أقوى، وأنه سينطلق، وسيحقق آماله ومآربه، في حين يختم المعري بإثبات اعتقاداته

وتأكيدها التي بدأ بها نصه باستعمال الأفعال التقريرية والإخبارية، ليقصد رفض أي رؤية أخرى، ولإقناع المخاطب أن هذه هي طبيعة الحياة والعالم حوله.

- ينفرد المعري برؤيته للإنسان، ويستحدث فلسفة تتجلى فيها النظرة الدونية للكائن البشري، إذ هو في مرتبة أقل حتى من الحيوان، ويقصد أن النهاية واحدة، ولذلك فالأصل واحد، فلا يغتر الإنسان بمكانته، وهو آيل إلى الفناء منها، وسينتقل إلى حياة أفضل، أو العكس.

- التقت الرؤى والتصورات لكلا الشاعرين في الشعور بالظلم، إذ إن المتنبي يرى أن المجتمع ظلمه ولم يقدر مكانته، ولم يعطه ما يستحق فجعله ذلك دائم التطلع إلى ذلك، في حين أن المعري وبالشعور نفسه رأى أنه حُرم من أشياء كان يستحقها، نتج عنها زهده في بشريته، والتطلع على الأثر الذي يُحدثه الكائن البشري.

7.المراجع

1. عبدالرحمن، عائشة. (1965). *أبو العلاء المعري*، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.
2. السلفي، أبو طاهر. (2021). *أخبار أبي العلاء المعري* (عمر السنوي، جمع وتحقيق؛ ط.1). دار فارس.
3. زعيميان، تغريد. (2003). *الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري وعمر الخيام*، الدار الثقافية للنشر.
4. سعد، سارة أحمد حسين. (2024). *استراتيجيات خطاب القصد في شعر المتنبي-دراسة تداولية* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن.
5. علي، محمد محمد يونس. (2016). *تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات*، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
6. ختام، جواد. (2016). *التداولية أصولها واتجاهاتها* (ط.1). دار كنوز المعرفة.
7. يول، ج. (2010). *التداولية* (قصي العتابي، ترجمة؛ ط.1). الدار العربية للعلوم ناشرون.
8. صحراوي، مسعود. (2005). *التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*، (ط.1). دار الطليعة.
9. الورافي، نجيب. (2020). تمثيل القصد ونظام تأويله في الخطاب التداولي دراسة في القناع التمثيلي التحادثي في شعر البردوني، *مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية*.
10. بوبعيو، بوجمعة. (2001). *جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة*، اتحاد الكتاب العرب.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

11. المعري، أبو العلاء. (1957). *سقط الزند*، دار صادر.
12. ضيف، شوقي. (1987). *الرثاء* (ط.4). دار المعارف.
13. بوخالفة، إبراهيم. (2018). رؤية العالم في رواية (رأس المحنة) للروائي الجزائري عز الدين جلاوجي، *مجلة دراسات معاصرة*.
14. حسين، طه. (د.ت). *شرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري*، دار المعارف.
15. البرقوقي، عبدالرحمن. (2014). *شرح ديوان المتنبي*، مؤسسة هنداوي.
16. شاكر، محمود محمد. (د.ت). *المتنبي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا*، مطبعة المدني، دار المدني.
17. السعيدي، هادي. (2022). *فصول في التحليل التداولي. قراءات تطبيقية* (ط.1). مؤسسة دار الصادق الثقافية.
18. سليم، أودينة. (2009). *فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس* [رسالة ماجستير غير منشورة]، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، الجزائر.
19. موشلار، ج.؛ ريبول، آ. (2010). *القاموس الموسوعي للتداولية* (مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين مجدوب، ترجمة). دار سيتانرا، المركز الوطني للترجمة.
20. بلبع، عيد. (2017). القرآن الكريم والتطبيق التداولي، أفعال الكلام بين الجذور المعرفية والنص، *سياقات*.
21. أوستين، ج. ل. (2010). *القول من حيث هو فعل (نظرية أفعال الكلام)* (محمد يحياتن، ترجمة؛ ط.2). عالم الكتب.
22. عبد الرحمن، طه. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (ط.1). المركز الثقافي العربي.
23. لانج، جوتس هنده. (2012). *مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي* (سعيد حسن بحيري، ترجمة؛ ط.1). زهراء الشرق.
24. علي، محمد محمد يونس. (2004). *مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب* (ط.1). دار الكتاب الجديد المتحدة.
25. دايك، ف. (2000). *النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي* (عبدالقادر قنيني، ترجمة). أفريقيا الشرق.
26. الرشيدي، عامر سمار مفلح قعبوب. (2024). خطب التوابين: دراسة تداولية من خلال الأفعال الكلامية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(2)، 281-305. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1947

27. الشمري، عواد بن بايق. (2024). توظيف الأفعال الكلامية في ديوان الزمزمي المكي (ت: 976هـ): دراسة تداولية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(4)، 9-38. https://doi.org/10.53286/arts.v6i4.2174

28. بابكر، أفراح أبو الشير محمد. (2024). الأفعال الكلامية في خطاب التهنئة بالعيد في البلدان العربية من منظور تداولي. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(3)، 57-74. https://doi.org/10.53286/arts.v6i3.2064

29. حسان، عبدالرحيم صالح. (2021). الأفعال الكلامية في ديوان رواغ المصابيح. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (4)، 40-76. https://doi.org/10.53286/arts.v1i4.244

30. الجهني، وفاء سليمان سعيد (2025). دور الفعل الكلامي في توضيح المعنى في معجم أساس البلاغة. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(2)، 106-123. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2551

31. واصل، عصام. (2020). الأفعال الكلامية في ديوان "أبجدية الروح"، *مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب*، *1*(1)، 74-98.

8. References (In Latin letters)

1. Abd al-Rahman, A. (1965). *Abu al-Ala al-Ma'arri*. Egyptian General Institution for Authorship, News, and Publishing. (in Arabic).
2. Al-Salafi, A. T. (2021). *Akhbar Abi al-Ala al-Ma'arri* (O. Al-Sanawi, Ed.; 1st ed.). Dar Fares. (in Arabic).
3. Zaeimian, T. (2003). *Al-ara' al-falsafiyya 'inda Abi al-Ala al-Ma'arri wa 'Umar al-Khayyam*. Al-Dar Al-Thaqafiyya lil-Nashr. (in Arabic).
4. Saad, S. A. H. (2024). *Istiratijiyyat khitab al-qasd fi shi'r al-Mutanabbi: Dirasah tadawuliyyah* [Unpublished doctoral dissertation]. University of Ibb, Yemen. (in Arabic).
5. Ali, M. M. Y. (2016). *Tahlil al-khitab wa tajawuz al-ma'na nahwa bina' nazariyyat al-masalik wa al-ghayat*. Kunooz Al-Ma'rifa. (in Arabic).
6. Khitam, J. (2016). *Al-tadawuliyyah: Usuluha wa ittijahatuhā*. Kunooz Al-Ma'rifa. (in Arabic).
7. Yule, G. (2010). *Al-tadawuliyyah* (Q. Al-'Attabi, Trans.). Arab Scientific Publishers. (in Arabic).
8. Sahraoui, M. (2005). *Al-tadawuliyyah 'inda al-'Arab: Dirasa tadawuliyya li-af'al al-kalam*. Dar Al-Tali'a. (in Arabic).
9. Al-Warafi, N. (2020). Representation of intentionality in pragmatic discourse. *Journal of the University of Babylon for Humanities*. (in Arabic).

CC BY NC
E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

10. Bouba'iou, B. (2001). *Jadaliyyat al-qiyam fi al-shi'r al-jahili*. Arab Writers Union. (in Arabic).
11. Al-Ma'arri, A. A. (1957). *Saqt al-zand*. Dar Sader. (in Arabic).
12. Dayf, S. (1987). *Al-ritha'* (4th ed.). Dar Al-Ma'arif. (in Arabic).
13. Boukhalfa, I. (2018). Worldview in the novel *Ra's al-Miḥna* by Abdelaziz Glaouji. *Contemporary Studies Journal*. (in Arabic).
14. Hussein, T. (n.d.). *Sharh luzum ma la yalzam li Abi al-Ala al-Ma'arri*. Dar Al-Ma'arif. (in Arabic).
15. Al-Barquqi, A. (2014). *Sharh diwan al-Mutanabbi*. Hindawi Foundation. (in Arabic).
16. Shaker, M. M. (n.d.). *Al-Mutanabbi: Risalah fi al-tariq ila thaqafatina*. Dar Al-Madani. (in Arabic).
17. Al-Saeedi, H. (2022). *Fusul fi al-tahlil al-tadawuli: Qira'at tatbiqiyya*. Dar Al-Sadiq Cultural Foundation. (in Arabic).
18. Selim, O. (2009). *Falsafat al-tadawuliyyat al-suwariyya wa akhlaqiyyat al-niqaash 'inda Habermas* [Unpublished master's thesis]. Mentouri University, Algeria. (in Arabic).
19. Moeschler, J., & Reboul, A. (2010). *Al-qamus al-mawsu'i lil-tadawuliyyah*. National Translation Center. (in Arabic).
20. Balba', E. (2017). *Al-Qur'an wa al-tatbiq al-tadawuli: Af'al al-kalam*. Siyaqat. (in Arabic).
21. Austin, J. L. (2010). *How to do things with words* (M. Yahyaten, Trans.; 2nd ed.). Alam Al-Kutub. (in Arabic).
22. Abd al-Rahman, T. (1998). *Al-lisan wa al-mizan*. Arab Cultural Center. (in Arabic).
23. Lang, G. H. (2012). *Introduction to speech act theory* (S. H. Buhairi, Trans.; 1st ed.). Zahraa Al-Sharq. (in Arabic).
24. Ali, M. M. Y. (2004). *Muqaddima fi 'ilmi al-dalala wa al-takhattub*. United New Book House. (in Arabic).
25. Van Dijk, T. A. (2000). *Text and context* (A. Qanini, Trans.). Afrique Orient. (in Arabic).
26. Al-Rashidi, A. S. M. (2024). Repentant speeches: A pragmatic study through speech acts. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 6*(2), 281–305. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1947 .(in Arabic).
27. Al-Shammari, A. B. (2024). Speech acts in Al-Zamzami Al-Makki's poetry collection. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 6*(4), 9–38. https://doi.org/10.53286/arts.v6i4.2174. (in Arabic).
28. Babiker, A. A. (2024). Speech acts in Eid greeting discourse. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 6*(3), 57–74. https://doi.org/10.53286/arts.v6i3.2064. (in Arabic).

29. Hassan, A. S. (2021). Speech acts in *Rwagh Al-Masabeeh*. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 1*(4), 40–76. https://doi.org/10.53286/arts.v1i4.244 . (in Arabic).
30. Al-Juhani, W. S. S. (2025). Speech acts in *Asas al-Balagha*. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 7*(2), 106–123. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2551 . (in Arabic).
31. Wasel, E. (2020). Speech acts in *Abjadiyyat al-Ruh*. *Tala'i' al-Lugha wa Bada'i' al-Adab, 1*(1), 74–98. (in Arabic).

9. إخلاء مسؤولية بشأن استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي

تم إعداد هذه المخطوطة كاملةً بجهود المؤلفين أنفسهم، دون الاستعانة بأي من أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي (GenAI) في عمليات الكتابة أو التحرير أو الإعداد، وجميع محتوياتها ناتجة حصريًا عن عمل المؤلفين دون أي دعم أو مساعدة من تقنيات الذكاء الاصطناعي.

10. التصريح بعدم وجود تضارب للمصالح

نصرح نحن مؤلفو المقال بعدم وجود أي تضارب في المصالح فيما يتعلق بالبحث الذي استخلصت منه المقالة أو تأليفها أو نشرها.

11. مساهمة المؤلفين

تم أنجاز المقال بجهود ذاتية.

12.مصادرتمويل ودعم البحث

لم يتلق هذا البحث أي دعم من أي جهة.

13.بيانات المؤلف

الدكتورة سارة أحمد حسين سعد أكاديمية وباحثة يمنية متخصصة في اللغة العربية والنقد التداولي، من مواليد محافظة ذمار بالجمهورية اليمنية. حصلت على درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إب عام 2024م بتقدير ممتاز، عن أطروحتها الموسومة بـ«إستراتيجيات خطاب القصد في شعر المتنبي: دراسة تداولية»، كما نالت درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة ذمار عام 2018م بتقدير ممتاز، برسالة بعنوان «شعر عروة بن الورد: دراسة تداولية». وتحمل درجتي بكالوريوس في اللغة العربية واللغة الإنجليزية من جامعة ذمار، إضافة إلى شهادة إتمام حفظ القرآن الكريم بتقدير ممتاز.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

تعمل مدرسةً في كلية الآداب بجامعة ذمار منذ عام 2015م، وشاركت في تدريس عدد من المقررات في أقسام اللغة العربية والترجمة واللغة الإنجليزية، من أبرزها: النحو والصرف، نظرية الأدب، النقد الأدبي القديم، الأدب الجاهلي، علم الدلالة، وعلم المعاني والبيان، إلى جانب مقررات الكتابة باللغة الإنجليزية. كما أسهمت في التدريس بعدد من الجامعات اليمنية، منها جامعة السعيدة وجامعة الحكمة وكلية الحاسبات والمعلوماتية.

شغلت عدة مهام إدارية وأكاديمية، منها العمل مختصةً إدارية بقسم اللغة العربية، ومختصة كنترول بكلية الآداب، ومختصة بقسم الترجمة. وتمتلك خبرة في التدقيق اللغوي والترجمة بين العربية والإنجليزية، إضافة إلى مهارات في استخدام الحاسوب والعمل الجماعي والاستشارات الأسرية والمجتمعية. كما شاركت في دورات تدريبية متعددة في التطوير الأكاديمي، والتدريس الجامعي، والحاسوب، واللغات الأجنبية.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894